هل تعرف من أنا

١٠ شخصيات من عظماء الصحابة

للأطفال

محمد حمزة السعداوي

محمد هاني



هل تعرف من أنا ؟

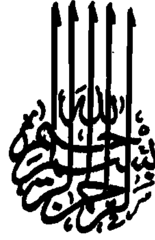
١٠ شخصيات من عظماء الصحابة

للأطفال

محمد حمزة السعداوي

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوي - بولاق
القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

مكتبة القرآن



« أنا من اهتزَّ عَرْشُ الرَّحمن لموته »

(١)

أنا رجل وسِيم ، مُشرق الوجه ، مُمتلىء الجسم ، طويل القامة ، سيد بنى الأشهل ، من قبيلة تسمى « قبيلة الأوس » .

عمرى فى الإسلام حوالى ست سنوات فقط ، حيث أسلمت وأنا فى العام الواحد والثلاثين من عمرى ، واسْتُشهِدتُ فى العام السابع والثلاثين .

يقولون : إنّ رسول الله ﷺ قال : لقد اهتز عرش الرحمن لموتى ، ونزل سبعون ألفا من الملائكة تسير فى جنازتى .

أظنكم الآن فى شوق لتعرفوا من أنا ؟ فإليكم قصتى ، ومنها تعرفون شخصيتى .

كانت قبيلتى فى الماضى البعيد تعيش فى أرض اليمن ، لكنها اضطرت إلى تركها بعد أن تهدَّمَ سد مأرب ، وقضت مياهه على الحقول والمزارع والبساتين ، وخربت البلاد والديار ، وأغرقت القصور والدور ، وعزَّ الطعام والشراب . فهاجرت إلى أرض الحجاز ، واستقرت فى مدينة « يثرب » التى سميت بعد هجرة الرسول إليها « المدينة المنورة » .

عاش أجدادى بالمدينة إلى جوار قبيلة أخرى تُسمى « الخزرج » وكان بين القبيلتين – قبيلة الأوس ، وقبيلة الخزرج – خصومات وحروب وعداء ، كل منهما تريد أن يكون لها السيادة . وبجانبهم كان يعيش اليهود من بنى قريظة ، وبنى النضير .

وأذكر جيدا وأنا دون سن العشرين ، أننى سمعت بظهور دين جديد فى مكة ، يدعو إليه رجل يسمى : محمد بن عبدالله ﷺ ، لكننى لم أكن أعرف حقيقة هذا الدين ، ولا كنت أريد أن أعرف .

ومضت أيامنا فى المدينة كما تمضى دائما ، وذات يوم وأنا فى سن الواحد والثلاثين ، سمعت أن وفدا من أهل المدينة قد لقى الرسول الجديد فى مكة ، وآمن به ، وأنه أرسل مع هذا الوفد رجلا اسمه « مصعب بن عمير » ليقرأ لهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويدعو الناس إلى الدخول فى الدين الجديد .

ولعلكم لا تتصورون مدى ثورتى وغضبى ، وثورة كثير من أهل المدينة ، على وجود هذا الرجل القادم من مكة ، من عند محمد بن عبدالله ، يُفْسِدُ علينا حياتنا ، ويدعو إلى دين يخالف دين آبائنا وأجدادنا .

وكانت ثورتى أشدّ ، عندما علمت أن هذا الداعي إلى الإسلام ، يجلس فى دار ابن خالتى «**أسعد بن زرارة**» ، ويتخذ منها مقرا للدعوة إلى دين محمد ، وتعليم المسلمين أمور دينهم .

ولم أطِقْ الانتظار ، فتقلدت سلاحى ، وانطلقت مسرعا إلى دار ابن خالتى ، لأُبْعِدَ ذلك الرجل الغريب خارج المدينة ، حاملا دينه الجديد ، أو ليكن مصيره القتل .

وحين وصلت إلى دار ابن خالتى ، إذا بى أرى « مصعب بن عمير » جالسا وسط مجموعة من المسلمين ، يقرأ عليهم القرآن ، ودارت بينى وبينه مشادة كلامية ، عنيفة . لكن الرجل كان هادئا ومبتسما ، وقال لى : يا بن (فلان) اجلس لأحدثك عن الإسلام ، واستمع إلى القرآن الذى نزل على محمد ، ثم حَكِّم عقلك فيما تسمع . ولك بعد ذلك أن تحكم بما تراه وتريده .

ولا أكتمكم الحقيقة ، فلقد استمالنى كلام الرجل ومنطقه . فقلت فى نفسى لأسمع ما يقوله ... وجلست ...

كان وجه **«مصعب بن عمير»** يبدو عليه الوقار والجلال ، وهو يحدثنى عن الإسلام ، ويقرأ آيات من القرآن . وما كدت أسمع من الرجل ، حتى شعرت بالسكينة تسرى فى قلبى ، والخشية تستولى على مشاعرى ، والهدوء يدبُّ فى كل أعضاء جسمى ، وتلفت أنظر إلى وجوه الجالسين حولى ، لأراها مشرقة ، يكسوها الجلال والخشية والمهابة ، وتأملت كلام مصعب ، فوجدته الحق ، ولا حق سواه .

وما إن انتهى مصعب من حديثه ، حتى مددت إليه يدى قائلا : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله . عندئذ هَلّل الحاضرون وكبروا ، وأقبل عَلَىَّ ابن خالتى يقبلنى ، ويهنئنى على دخولى فى الإسلام .

وعلى الفور ، عدت إلى قومى « بنى عبدالأشهل » الذين كانوا ينتظروننى ، وقلت لهم : كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا ، وأفضلنا رأياً . قلت : لقد سمعت من مصعب كلاما ، فوجدته خيرا كله ، وصلاحا لأمرنا ، فأسلمت لله رب العالمين ، وشهدت بنبوة محمد بن عبدالله . ومن اليوم كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرام ، حتى تؤمنوا بالله . ورسوله محمد بن عبدالله .

أتعلمون ماذا حدث بعد ذلك ؟ لقد أسلم كل قومى ، وبدأت أساعد « مصعب بن عمير » فى الدعوة إلى الإسلام ، حتى أسلم كثير من أهل المدينة ، مما جعلهم يقولون عنى : إننى من أعظم الناس بركة فى الإسلام ، لكثرة من أسلموا بعد إسلامى ، وعلى يدىّ .

ومرت بنا الأيام سعيدة ، مشرقة بنور الإسلام ، إلى أن اكتملت سعادتنا يوم جاء رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة مهاجرا من ظلم كفار مكة الذين تآمروا على قتله ، يومها كانت كل بيوت

قومى مفتوحة لإخواننا المهاجرين ، وكل ثرواتنا وما نملك تحت تصرفهم ، وفى نصرة رسول الله والإسلام .

وذات يوم جمعنا رسول الله عليه الصلاة والسلام – نحن الأنصار – بإخواننا المهاجرين ، ليستشيرنا فى لقاء المشركين وحربهم ، وقال ووجهه ناحيتنا : « **أشيروا علىّ أيها الناس** » فنهضت قائما وقلت : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله .. نحن الأنصار ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أجل . فقلت : يا رسول الله ، لقد آمنَّا بِكَ وصَدَّقْناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا . فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك . والذى بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد . وما نكره أن تلقى بنا عدوًّا غدا ... إنا لَصُبُرٌ فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك . فسر بنا على بركة الله .

وما إن سمع رسول الله – عليه الصلاة والسلام – ما قلت ، حتى تألق وجهه رضا وسعادة ، وقال للمجتمعين : سيروا وأبشروا ، فالله وعدنى إحدى الطائفتين . والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم ...

والتقينا بالكفار فى معركة « **بدر** » ، ومن بعدها غزوة أحد ، وكنت فيهما جنديا مع رسول الله والمسلمين .

ومضت أيامنا فى المدينة المنورة ، نعيش فى سلام . نعبد الله ، ونتواصى بالطاعة ، ونتعاون على الخير ، ونتعلم من رسول الله عليه الصلاة والسلام . لكن الحقد والكره فى قلوب يهود المدينة وكفار مكة ، كان يزداد على الإسلام والمسلمين ، كلما وجدونا نعيش فى سلام ، ونرسى قواعد الدولة الإسلامية فى المدينة . كانوا يخافون على

سلطانهم ونفوذهم وجبروتهم كلما وجدوا الناس يدخلون فى دين الإسلام .

وذات يوم ، ذهبت مجموعة من زعماء يهود المدينة إلى مكة ليحرضوا أهلها على حرب المسلمين ، والقضاء على « **محمد** » ودعوته فى المدينة ، واتفقوا مع قريش على أن يجهزوا جيشهم ، ويزحفوا إلى المدينة ، وسوف ينضمون إليه ، هم وحلفاؤهم .

ووصل خبر المؤامرة إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فأمر بالاستعداد للحرب ، وحفر خندق حول المدينة ، كما أشار سلمان الفارسى ، حتى يعوق دخول الجيش القادم من مكة إلى المدينة . ثم أرسلنى فى وفد إلى يهود بنى قريظة لنعرف موقفهم من الحرب ، ونطالبهم بالوفاء بالمعاهدة التى بينهم وبين المسلمين . لكنهم تنكروا لوعودهم واتفاقاتهم ، وأظهروا كرههم للإسلام والمسلمين ، وقالوا : ليس بيننا وبين محمد عهد ولا عقد .

ولا أخفى عليكم مدى الغيظ الذى ملأ قلبى من هؤلاء الخائنين للعهد ، الذين دأبوا على خيانة المسلمين ، ونقض العهود ، وكدت أعمل فيهم سيفى ، لكن المهمة التى كُلِّفنا بها لا تتطلب منا ذلك . فتركناهم وعدنا نخبر رسول الله بموقفهم .

ولما وصل جيش قريش وحلفاؤها إلى المدينة ، وجدوا الخندق يحول بينهم وبين دخولها ، ووجدوا جيشنا خلف الخندق لحمايته ، فعسكروا حول المدينة .

أتعلمون متى كان ذلك؟ وكم كان عدد جيشنا وجيشهم ؟

كان ذلك فى شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة ، وكان عدد

جيشهم يربو على عشرة آلاف مقاتل ، بينما عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف مجاهد .

كان موقعى فى الصفوف الأولى من جيش المسلمين ، نحرس الخندق ، ونمنع جيش الكفار من عبوره ، ونترامى بالسهام ، والنبال على فترات .

وفى إحدى جولاتنا معهم ، تمكن أحد الأعداء من إصابتى بسهم فى ذراعى ، فقطع وريدى ، وتفجر منه الدم بغزارة ، فأمر رسول الله ﷺ ، أن يحملونى إلى خيمة فى المسجد لأعالج ، ولأكون قريبا منه ، يزورنى من حين لآخر وهو يدير المعركة .

وما إن وضعونى فى المسجد ، لتقوم بعلاجى مسلمة تسمى «**رفيدة الأنصارية**» حتى رفعت وجهى إلى السماء قائلا « اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذَوْا رسولك وكذَّبوه وأخرجوه . وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعل ما أصابنى اليوم طريقا للشهادة ، ولا تُمِتْنى حتى تقرَّ عينى من بنى قريظة .. » .

واستجاب الله دعائى ، فكانت إصابتى هذه طريقى للشهادة ، ولم أمت حتى شفى الله صدرى من بنى قريظة . **أتعرفون كيف حدث هذا؟**

بعد أن يئس الكفار من حصار المدينة ، ووجدوا أنه يستحيل عليهم دخولها ، ودب فى صفوفهم الهلع والفزع ، وأرسل الله عليهم ريحا عاتية ، كفأت القدور ، واقتلعت الخيام ، وملأت عيونهم وأفواههم بالرمال ، لم يجدوا وسيلة إلا أن يعودوا من حيث جاءوا ، وردّ الله كيدهم فى نحورهم ، بعد أن استمر حصارهم شهرا كاملا ،

يقول سبحانه ﴿ **يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا ، وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا** ﴾

[الأحزاب : ٩]

بعد هذه المعركة ، رأى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أن يعاقب يهود بني قريظة على خيانتهم ، وألا يتركهم يغدرون بالمسلمين كلما أرادوا . فأمر أصحابه بالسير إليهم ، وحاصروهم خمسة وعشرين يوما ، حتى استسلموا وطلبوا من رسول الله ﷺ ، أن أَحْكُمَ فيهم ، وسيقبلون حُكمى .

أرسل رسول الله من يحضرنى من خيمتى التى أعالج فيها ، فحضرتُ محمولا على دابة ، وقد أنهكنى المرضِ والإعياء . فقال لى المصطفى : احكم فى بنى قريظة . وعلى الفور مَرَّ فى خاطرى مواقف هؤلاء القوم ، وخياناتهم المتكررة للمسلمين ، وآخرها خيانتهم فى غزوة الخندق التى كان يمكن لها أن تقضى على المسلمين نهائيا فى المدينة . فقلت : يارسول الله ، أحكم فيهم أن يُقتل رجالهم ، وتُسْبَى ذراريهم ، وتُقسَّم أموالهم .

وهكذا شفى الله صدرى من بنى قريظة ، قبل أن أفارق الحياة . وعاد جرحى ينزف بغزارة ، وساءت حالتى . وسمعت رسول الله ﷺ وهو فى زيارته الأخيرة لى ، يدعو الله أن يتقبل روحى بخير ما تقبلت به روح . فاطمأن قلبى . وحاولت فتح عينى ليكون رسول الله آخر ما تُبصره . وقلت : السلام عليك يا رسول الله ، أمَا إنِّى لأشهد أنك رسول الله فرد علىَّ قائلا : هنيئا لك يا أبا عمرو

وكانت هذه الكلمات آخر ما سمعت ، وكان رسول الله ﷺ آخر من رأيت . **فهل عرفتم من أنا ؟**

أنا سعد بن معاذ ، الذى قال الرسول عليه الصلاة والسلام يوم رأى أمِّى تندبنى « **كل نادبة كاذبة إلا نادبة سعد !** » .

وقال سعيد الخدرى : « كنت ممن حفروا قبر سعد ، وكنا كلما حفرنا طبقة من تراب شممنا ريح المسك ، حتى انتهينا إلى اللحد .

ويوم أُهْدِىَ لرسول الله ثوب من حرير ، فجعلوا يعجبون من لينه . فقال لهم رسول الله ﷺ « **أتعجبون من هذا ، لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذا ..** »

أتعلمون سر بلوغى هذه المنزلة ؟ لأننى كنت صادق الإيمان حين أسلمت ، وتعلمت من رسول الله والتزمت بفعل ما تعلَّمت ، ووهبت نفسى ومالى فى سبيل نصرة الحق .

« أنا الغُـــلام المُعَـــلِّم »

(٢)

ماذا أقول لكم عن نفسى ، وأنا رجل نحيف الجسم ، ضعيف البِنْيَة ، قصير القامة . يكاد الرجل الجالس يساوينى من قصرى .

ولى ساقان ناحلتان دقيقتان . صعدت يوما على شجرة ، فرأى أصحاب النبى ساقىَّ فضحكوا . فقال لهم رسول الله ﷺ : « **تضحكون من ساقىْ [فلان] لهما أثقل فى الميزان عند الله من جَبَلِ أُحُد** »

ومع ذلك منحنى الله حضورا فى البديهة ، وقوة فى الحجة ، وجرأة فى الحق ، وإرادة تقهر الجبابرة ، وتصنع التاريخ . فالرجال بقوة إرادتهم ، وصدق عزيمتهم . لا بأجسامهم وأشكالهم .

أنا الذى قتلت أكبر عدوٍّ لله ورسوله ، قتلت « **أبا جهل** » فى غزوة بدر ، فمنحنى رسول الله سيفه .

قالوا عنى : إنهم مارأوا رجلاً أحسن خلقا ، ولا أرفق تعليما ، ولا أحسنُ مجالسة ، ولا أشد ورعا منى . وحاشالله أن أزكى نفسى .

قال لى رسول الله يوما : « **إنك غُلام مُعَلَّم** »

دعونا من هذا ، وهيا اقرءوا قصة حياتى ، لعلكم تعرفون من أنا ؟

أنا من «**بنى هذيل**» نشأت فى أسرة فقيرة ضعيفة ، مغلوبة على أمرها . وكان على والدى كى نعيش فى أمان من اعتداء القبائل الأخرى ، أن يكون حليفا مع أحدٍ من القبائل الكبيرة لتحمينا . فتحالف مع رجل يسمى « **عبدالله بن الحارث** ».

وهكذا عشنا ... حتى مات والدى . فذهبت إلى مكة أبحث عن عمل نعيش منه . وأخيرا عملت راعيا لغنم « **عقبة بن معيط** »

ولعلكم تتعجبون حين أقول لكم : إن أخوالى حاولوا أن يوفِّروا لى كل أسباب الحياة ، من طعام وشراب ، حتى لا أعمل أجيرا عند أحد . لكننى رفضت . أتعلمون لماذا رفضت ؟ لأن الرجل لا يحبُّ أن يعيش عالةً على غيره ، ولا أن يأكل إلا من عمل يده ، ولا يجد سعادة إلا فى عرقه وكفاحه . وأنا من هؤلاء الرجال .

عشت فى مكة أرعى الغنم فى صحرائها وجبالها وشعابها ، تحت أشعة شمسها المحرقة . إلى أن استيقظت مكة ذات يوم على دعوة الحق . دعوة محمد بن عبدالله إلى الإسلام . فسارعت إليه ، وكنت سادس ستة آمنوا بدعوته ، وما على الأرض يومها مسلمون غيرنا ...

أتعرفون لماذا سارعت إلى الإسلام ؟

لقد كنت ذات يوم أرعى الغنم كعادتى ، فمرّ علىّ رجلان لا أعرفهما . وإذابواحد منهما يقول لى : يا غلام ، هل عندك من لبن تسقينا ؟ نظرت إلى وجه الرجل فوجدته تعلوه المهابة والوقار ، ويشرق بالجلال . فقلت له : نعم عندى لبن ، لكننى مؤتمن على هذه الغنم ، فهى ليست ملكى حتى أعطيكم من لبنها . إنها أمانة عندى يا سيدى ، وأنا لا أخون الأمانة أبدا .

فقال لى الرجل : « ائتنى بشاة لم يَنْزُ عليها الفحل » لم تحمل ، ولم تَلِدْ ، وليس بها لبن . فأتيته بواحدة . فأخذ يمسح على ضرعها بيده ، ويدعو بكلام . فإذا الضرع قد امتلأ باللبن ، فاحتلبها ، وشربت وشربا . ثم قال للضّرع : اقلص ، فقلص ، وعاد كما كان ، ليس به لبن .

وأخيرا عرفت أن الذى طلب منى الشاة ومسح على ضرعها ، يسمى **«محمد بن عبدالله»** ، والرجل الثانى اسمه : **«أبوبكر»** .

انصرف الرجلان ، وتركانى في ذهول مما رأيت ، وفى فمى حلاوة اللبن الذى شربته ، والذى لم أذق مثله فى حياتى . وكان عجبى أشد من الكلام الذى كان يدعو به « محمد » وهو يمسح ضرع الشاة .

ولما أفقت من دهشتى وعجبى ، أسرعت بالغنم إلى مكة ، وسلمتها لصاحبها . وأخذت أبحث عن الرجلين فى كل مكان ، حتى عثرت عليهما بعد يومين .

سألت «**محمدا**» أن يعلمنى من الكلام الذى سمعته منه ، فعرض علىّ الإسلام ، فأسلمت . ومسح رسول الله ﷺ على رأسى وقال لى : « **إنك غلام مُعلّم** » .

من ذلك اليوم الذى آمنت فيه بالإسلام ، وأنا ملازم لرسول الله ﷺ . إلى درجة أنه قال لى : «**إذنك علىّ أن ترفع الحجاب**»

فكنت أدخل عليه فى أى وقت أشاء . أخدمه ، وأستره إذا اغتسل ، وأوقظه إذا نام ، وأجالسه أكثر مما يجالسه غيرى ، وأتعلم منه . وكنت موضع سِرّه ونجواه . حتى ظن بعض المسلمين من قوة حبه لى ، وشدة ملازمتى له ، أننى من أهله .

ورغم ذلك ، كنت قليل التحدث عن رسول الله بعد مماته . وكنت إذا حرّكت شفتىّ لأقول سمعت رسول الله ﷺ يقول ، تأخذنى الرّعدة الشديدة ، ويبدو علىَّ الأضطراب والقلق ، إجلالا له ، وخشية أن أنْسَى ، فأضع حرفا مكان حرف . فالتحدث عن الآخرين أمانة ، تتطلب من المتحدث أن يكون صادقا فى كل ما يقول ، وألا يزيد أو ينقص . فما بالكم وأنا أتحدث عن رسول الله ﷺ .

أنا من حَفَظَةِ القرآن الكريم وقُرَّائه ، ومِنْ كُتَّاب الوحْى . أخذت عن رسول الله « سبعين سورة من سور القرآن » ما نازعنى فيها أحد . وكنت موضع ثقة الرسول فى ذلك ، وكان يحبّ أن يسمع القرآن مِنّى . وقال لأصحابه : « **من أحب أن يسمع القرآن غَضًّا كما أُنزل ، فليسمعه من ابن أم عبد** » يعنى أنا . و كان يوصيهم بأن يحاكونى فى قراءتى ، ويتعلموا منى قراءة القرآن .

ذات يوم ، اجتمع بعض أصحاب رسول الله ﷺ ، وقالوا : والله ما سَمِعَتْ قريش هذا القرآن يُجهر لها به . ألا يوجد رجل يسمعهم ، ويجهر بالقرآن أمامهم ؟ فقلت لهم : أنا . قالوا : إننا نخشى عليك من بطشهم . نريد رجلا له قبيلة قوية تحميه من إيذائهم . فقلت لهم : دعونى فإن الله سيحمينى منهم .

وما كدت أرفع صوتى قارئا « **بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علّمه البيان** ... » حتى أنصت الكفار لقراءتى . وقال بعضهم لبعض : ماذا يقول ابن أم عبد ؟ قال أحدهم : يتلو بعض ماجاء به محمد .

وتجمعوا حولى ، وراحوا يضربونى ، وأنا مستمر فى قراءتى ، متحدّيا كفرهم وجبروتهم ، إلى أن أصابونى فى وجهى وجسدى وسال الدم منى .

ولما عدت لأصحابى ، قالوا : هذا ماكنا نخشاه عليك . فقلت لهم : ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لأُقْرأنَّ عليهم غدا . فقالوا لى : كَفَى . فقد أسمعتَهم ما يكرهون .

كنت أقرأ القرآن بصوت عذب ، يجذب إلىَّ كثيرا من أهل مكة ، حتى ضاق « أبو جهل » منى ، وضربنى يوما على رأسى ،

فسال منها الدم غزيرا ، فلطمته على وجهه ، فثار قائلا : لن تفلت بها يا راعى الغنم . فقلت له : ولن تفلت بما فعلت يا عدو الله .

هل تتصورون ، أنا راعى الغنم ، الفقير الضعيف ، أصفع أبا جهل على وجهه ؟!! أبوجهل ، زعيم الكفار ، وكبير من كبراء قريش . من أين جاءتنى الجرأة والقوة ؟ أتعلمون مصدرها ؟ إنها من إيمانى بالله ورسوله ، من الحق الذى أتبعه ، فالمؤمن لايخاف جبارا ولا طاغية ، ولا يرهب ظالما ، ولا يبالى بما يُصيبه فى سبيل الله ، وأداء رسالته فى الحياة .

ودارت الأيام ... وفى غزوة « بدر » كانت نهاية « أبى جهل » على يدى . فلقد ضربته الضربة الأخيرة التى قضت على حياته . وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، قلت له : ها قد أخزاك الله ، يا عدو الله . فقال : ها أنت ذا يا راعى الغنم، لقد ارتقيت مُرْتَقًى صعبا . فرددت عليه : لقد أخزاك الله بما قدمت للمسلمين من شر ، فذق عذاب الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد ..... يومها ، منحنى رسول الله ﷺ سيفه .

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وقفت بجوار خليفته أبى بكر الصديق ، مع المدافعين عن دين الله فى حرب الردة ، وحروب الدعوة . ومن بعده أرسلنى الخليفة عمر بن الخطاب إلى الكوفة ، وكتب إلى أهلها : « إنى قد بعثت إليكم بعمار بن ياسر أميرا [وبى] معلِّما ووزيرا ، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ، من أهل بدر . فاقتدوا بهما ، وأطيعوا واسمعوا قولهما » .

مكثت فى الكوفة مدة خلافة عمر بن الخطاب ، وفترة من خلافة عثمان بن عفان ، وواليا على بيت المال ، وأُعَلِّم الناس شئون دينهم ، وأقرأ القرآن ، وأُعَلِّمُ الحكَّام كيفية التصرف فى مال

المسلمين ، والحفاظ عليه . فليس مال المسلمين للحكام ، ولا لمظاهر الحكم ، وإنما لصالح المسلمين .

أحبنى أهل الكوفة حبا كبيرا ، إلى درجة أنهم أحاطوا بى يوم أرسل الخليفة عثمان بن عفان يستدعينى إلى المدينة المنورة ، وقالوا لى : ابق معنا . فقلت لهم : « إنه الخليفة ، وله علىَّ حق الطاعة ... »

عدت من الكوفة إلى المدينة المنورة . وذات يوم ، حدث بينى وبين الخليفة عثمان حوار وخلاف ، ومع ذلك وقفت مدافعا ومحذرا ، حين رأيت التذمر فى عهده يتحول إلى ثورة ، ولم أقل فيه كلمة سوء واحدة .

زارنى يوما عثمان بن عفان وأنا مريض ، وقال لى : ما تشتكى ؟ قلت ذنوبى . قال فما تشتهى ؟ قلت : رحمة ربى . قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قلت : الطبيب أمْرَضَنِى . قال : ألا آمر لك بِعَطاء ؟ قلت : لا حاجة لى فيه . قال : يكون لبناتك . قلت : أتخشى على بناتى الفقر . إنى أمرتهنَّ أن يقرأنَ كل ليلة سورة « الواقعة » ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«من قرأ سورة الواقعة كل ليلة ، لم تُصبه فاقة أبدا »**

أظنكم الآن عرفتم من أنا ؟

أنا : عبدالله بن مسعود . وأمى : أم عبد . بشرنى رسول الله ﷺ بالجنة . وقال لأصحابه : « **تمسكوا بعهد ابن أم عبد .. »**

قال عنى **«حذيفة»** : مارأيت أحدا أشبه برسول الله فى هديه ودَلّه وسَمْتِهِ من ابن مسعود .

وقال عنى أبو موسى الأشعرى : لا تسألوا عن شىء مادام هذا الحَبْرُ فيكم .

فهل يا ترى ستتمسكون بعهدى . وتجعلون من القرآن دليلا لحياتكم ، ومنهاج عمل وسلوك ؟ أرجو ذلك .

« أنا الباحث عن الحقيقة »

(٣)

أنا رجل طويل الساقين ، غزير الشعر ، قوى الجسم ، ضربة واحدة من يدى تفلق الصخر .

قالوا عنى : إننى قوى الشخصية ، ذكىّ ، حسن الخلق ، عالم بأمور الدين ، كنت دائما أبحث عن الحقيقة ، حتى وجدتها .

أتريدون أن تعرفوا من أنا ؟ وما هى قصتى ؟

أنا من أهل فارس **«إيران»** ولدت قبل الإسلام فى إحدى قرى **«أصبهان»** وكان والدى رجلا غنيا ، ويحبنى جدا ، فعشت فى النعيم والقصور مدلّلا مُرفّها . كان قومى يعبدون النار ، لكننى كنت أكره هذه العبادة ، وكنت دائما أفكر فيها ، حاولت أن أقتنع بها ، فلم أتقبلها ، فهى فى نظرى عبادة سيئة ، لا أحبها .

وذات يوم أرسلنى والدى إلى ضيعتنا لبعض الأعمال ، وفى طريقى مررت بكنيسة للنصارى ، وسمعتهم يصلون ، ولما دخلت إليهم ، أعجبت بصلاتهم ، ووجدت أن دينهم أحسن من دين أبى وقومه ، ولما عدت إلى أبى ، أخبرته بما رأيت فى الكنيسة . فثار فى وجهى ، وخاف أن أترك دينه (عبادة النار) فقيدنى وحبسنى ، حتى لا أتصل بالنصارى ؛ لكننى تمكنت من الاتصال بهم ، واتفقت معهم على أن أرحل إلى الشام مع أول قافلة لهم تذهب إلى هناك ، لأتعرف على حقيقة دينهم .

وهناك فى الشام التقيت برجال الدين المسيحى ، ولازمتهم ، وتعلمت منهم . وذات يوم قال لى أحدهم وهو يموت : إن هناك نَبِيًّا جديدا سيبعث فى أرض العرب ، يدعو إلى توحيد الله ، وقد حان زمانه ، وذكر لى أوصاف هذا النبىّ وطلب منى أن أرحل إلى هناك .

ومع أول قافلة كانت متجهة إلى أرض العرب سافرت معها ،

كانت القافلة متجهة إلى « يثرب » المدينة المنورة ، لكن أصحاب القافلة غدروا بى ، وباعونى عبدا ليهودىّ من « يثرب » .

وهكذا عشت فى يثرب عبدا ، أعيش فى خيمة ، وأرعى الغنم ، وألبس الملابس الخشنة وأنام على الرمل والحصى ، بعد أن كنت أعيش فى القصور ، وألبس الحرير ، وأنام على ريش النّعام المُريح ، لكن كل ذلك يهون فى سبيل أن ألتقى بالنبى الجديد وأعرف حقيقة الدين الصحيح .

وذات يوم كنت أعمل فى مزرعة سيدى اليهودى ، فعلمت أن النبى الجديد جاء إلى « يثرب » مهاجرا من مكة ، فأسرعت فى الذهاب إليه ، ولما وقفت أمامه ، رأيت كل العلامات التى سمعتها فى الشام ، خاتم النبوة بين كتفيه ، وخلقه وصفاته ، كما سمعت عنها ، وعلى الفور دخلت فى الإسلام ، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

لكننى كنت حزينا بعد ذلك . **أتعلمون لماذا كنت حزينا ؟** لأننى لم أستطع الاشتراك مع المسلمين فى غزوة « بدر » وغزوة « أحد » لأننى عبد عند اليهودى ولا أملك من أمر نفسى شيئا !

ولما طلبت من سيدى أن يعتقنى ، ويطلق حُرّيتى ، اشترط علىّ أن أزرع له ثلاثمائة نخلة ، وأعطيه أربعمائة أُوقية من الذهب ، وبعدها يطلق سراحى ، وأصبح حرًّا .

وهنا أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يساعدونى فى زراعة النخيل وجمع الذهب . وكان هذا أول مشروع للشجرة **«أسبوع الشجرة»** كما تقولون . ولما أصبحت حرًّا ، كانت أول غزوة أشترك فيها مع الرسول وأصحابه ، هى غزوة الخندق التى كان لى فيها شأن

كبير ، **أتعلمون ماذا حدث فى هذه الغزوة ولم سميت « غزوة الخندق » ؟**

لقد أراد الكفار أن يقضوا على الدين الإسلامى نهائيا ، بعد غزوة « بدر وأحد » **فجهزوا** جيشا كبيرا بلغ عدده « ٢٤ ألفا » وبدءوا يزحفون إلى المدينة المنورة ليحاصرونا فيها . ويقضوا علينا ، ورأى المسلمون أنفسهم فى موقف صعب .

أسرعت إلى هضبة عالية ، وألقيت نظرة على المدينة المنورة ، فوجدت الجبال تحيط بها من كل جانب ، وتحصِّنها ، إلا فجوة واسعة ليس فيها جبال ، جلست أفكر ، وأخيرا أسرعت إلى رسول الله ، واقترحت عليه أن نحفر «**خندقا**» فى هذه الفجوة ، وبذلك تصبح المدينة محصّنة بالجبال وبهذا الخندق ، فلايستطيع جيش الكفار الهجوم عليها ، أو دخولها . وفعلا قبل الرسول الفكرة ، وبدأنا حفر الخندق . ولما جاءت جيوش الكفار ، وقفت خارج المدينة ، ولم تستطع الهجوم عليها ، ولما يئسوا ، انسحبوا مهزومين ، وعادوا من حيث أتوا ، ولم يفكروا بعد ذلك فى غزو المدينة مطلقا ، وهذا أدى إلى استقرار المسلمين فى المدينة ، وتفرغهم لنشر دين الله فى الأرض .

أتعلمون متى أسلمت ؟ لقد دخلت فى الإسلام فى السنة الأولى من الهجرة ، وكنت أول من أسلم من « **الفرس** » كما كان « **بلال** » أول من أسلم من « **الحبشة** » « **وصهيب** » أول من أسلم من « **الروم** » .

ظللت ملازما لرسول الله ، أتعلم منه ، وأجاهد معه ، ومن بعده كنت مع أبى بكر ثم عمر بن الخطاب .

أتعلمون ماذا حدث لى فى خلافة عمر بن الخطاب ؟

لقد أرسلنى عمر إلى بلادى الأولى « **الفرس** » عَيَّنَنِى حاكما على « **المدائن** » وأميرا لها ، وهكذا شاء الله أن أرجع إلى بلادى بعد أن خرجت منها أبحث عن الحقيقة . التى وجدتها فى المدينة المنورة ، فى الإسلام على يدىْ رسول الله محمد ﷺ .

لعلكم تسألون : لماذا كنت ألبس الثياب الخشنة القصيرة ، وآكل خبز الشعير ، وأشترى الخوص وأصنّعه ثم أبيعه وآكل من ثمنه ، مع أنى كنت أميرا على « **المدائن** » ومرتبى خمسة آلاف درهم ؟

فأقول لكم : أنا تلميذ من مدرسة رسول الله محمد ، أقتدى به وبأصحابه ، أخشى الله، ولذلك لا أحب أن آكل إلا من عمل يدى ، ولا أحب أن أُفْتن بزخارف الدنيا ، فأنا زاهد متواضع ، أتصدق بكل دخلى على المحتاجين والفقراء وأبناء المجاهدين ، ويكفينى من الدنيا ، ما أسدّ به جوعى ، وأستر جسمى .

ولعلكم تعجبون إذا قلت لكم : إننى ذات يوم كنت أسير فى شوارع « **المدائن** » أتفقد أحوال رعيتى ، إذ لقينى رجل شامىّ يحمل حملا ثقيلا – وكان لا يعرفنى – فظن أننى من الفقراء ، وطلب منى أن أحمل عنه حمله ، وأوصله إلى منزله ، وسيعطينى أجرا على ذلك ، فوافقت ، وسرت فى الطريق أحمل على ظهرى متاع الشامى وحين رآنى بعض الناس ، أسرعوا نحوى ، يريدون أخذ الحمل عنى ، فسألهم الشامىّ من هذا ؟ قالوا له هذا أمير البلاد ،خجل الشامى وأخذ يعتذر لى ، ولما أراد أخذ الحمل عنى رفضت ، حتى أوصّله إلى بيته كما اتفقنا ، فأنا لا أحب أن أتفق على شىء ولا أفعله ، أو أعطى وعدا ولا أوفى به .

أتريدون أن تعرفوا مقدار زهدى فى الدنيا ؟ اسمعوا هذه الحكاية :–

دخل عليّ **«سعد بن أبى وقاص»** وأنا مريض ، فوجدنى أبكى ، ولما سألنى لماذا أبكى ورسول الله قد توفى وهو عنى راض ؟ قلت له : أنا لا أبكى خوفا من الموت ، ولا حرصا على الدنيا ، ولكنّ رسول الله عهد إلينا عهدا فقال **«ليكن حظُّ أحِدكُم من الدنيا مثل زاد الراكب»** . وهأنذا وحولى هذه الأشياء . وحين نظر « سعد » وجد حولى إناء للطعام وإناء لماء الشرب والوضوء وهذا كل ما كنت أملك من الدنيا .

فهل عرفتم من أنا ؟

أنا سلمان الفارسى . الباحث عن الحقيقة ، وصاحب فكرة حفر الخندق الذى حدثتكم عنه ، عشت فى الدنيا عمرا طويلا ، ولم أترك لكم من أولادى إلا ثلاث-بنات ، واحدة **«بأصبهان»** واثنتان أقامتا بمصر . وخلفت لكم قصة حياتى ، لعلكم تستفيدون منها ، ولكم فى رسول اللهِ قدوة أفضل .

فسلام على سلمان الفارسى ، يوم بحث عن الحقيقة ، ويوم اهتدى إليها ، ويوم أشار بحفر الخندق ، ويوم عاد إلى بلده ، وهناك لقى ربه سنة ٣٥ هـ تقريبا .

« أنا من اشترى نفسه بماله »

(٤)

كنت أحمر شديد الحمرة ، كثير شعر الرأس ، لست بالطويل ولا بالقصير ، لكننى إلى القصر أقرب . خفيف الروح ، حاضر النكتة .

رآنى يوما رسول الله ﷺ وأنا آكل رُطَباً ، وفى إحدى عينى رمد . فقال لى ضاحكا : أتأكل الرطب وفى عينك رمد ؟! فأجبته : وأى بأس ، إنى آكله بعينى الأخرى .

حين طعن « أبو لؤلؤة » بخنجره الخليفة عمر بن الخطاب ، وهو يصلى بالناس صلاة الفجر ، وأحس بدنو أجله ، اختارنى لأصلى إماما بالمسلمين ، حتى يتم اختيار الخليفة من بعده . ولما مات عمر صليت عليه ، تنفيذا لوصيته .

قال لى عمر بن الخطاب يوما ، وقد لاحظ سخائى ، وكرمى الشديد مع المحتاجين « أراك تطعم كثيرا ، حتى إنك لتسرف . فقلت له : أنا لا أُنفق مالى إلا فى حق ، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **خياركم من أطعم الطعام** » .

على أية حال ، سأحكى لكم قصتى ، لتعرفوا من أنا ؟ .

كان والدى من العرب الذين هاجروا إلى العراق قبل ظهور الإسلام بكثير ، وعمل مع كسرى ملك الفرس حاكما من قبله على «**الأُبُلَّةِ**» وكان قصره قائما على شاطىء الفرات ، مما يلى الجزيرة والموصل .

فى هذا القصر العظيم ولدت بين النعيم والثراء ، الذى كان حولى من كل جانب ... لكن سنوات عمرى فى هذا القصر كانت قليلة .

فذات يوم ، وأنا طفل ، هاجمتنا الروم ، وقتلت كثيرا ، وأسرت عددا من النساء والأطفال . وكنت أنا واحدا من هؤلاء الأطفال الذين أسرهم الروم .

وانتقلت بذلك من العِزّ والجاه ، والنعيم ، إلى حياة البؤس والذل والعبودية . ومكثت فى بلاد الروم بقية طفولتى وجزءاً من شبابى . حتى تعلمت كثيرا من لغتهم ، وكدت أنسى لغتى العربية ، وصرت ألكن ، لا أجيد الحديث بالعربية الفصحى .

وشاءت إرادة الله أن تسوقنى إلى أرض الحجاز ، فاشترانى رجل من قبيلة « **كلب** » ثم باعنى لرجل من مكة اسمه « **عبدالله بن جُدعان** » .

لاحظ سيدى « عبدالله » أننى شاب ذكى ، أحب العمل ، وأتقن كل ما أعمل ، وأخلص فى خدمته ، وأعامل الناس بخلق حسن . فأحبنى ، ووثق بى ، وأسند إلى أمر تجارته .

ومرت السنوات سنة بعد أخرى ، وأنا أتاجر فى مال سيدى . مرة أسافر إلى الشام بالتجارة ، ومرة إلى أرض اليمن ، أو إلى الحبشة . حتى حققت له أرباحا طائلة ، وثروة ضخمة .

وفى أحد الأيام التى لا أنساها . نادانى سيدى ، وأجلسنى بجواره ، وقال لى فى محبة وود : لقد أثبت طوال وجودك عندى ، أنك رجل وفىّ ، مخلص وأمين ، ذكى تحسن التفكير والتجارة ، وتعامل الناس بحب ومودة ، حتى أحبوك جميعا . وبفضلك وجهدُك جمعت كل هذه الثروة الضخمة . ومثلك لم يخلق للعبودية ؛ لذلك قررت أن تكون صديقى ، وشريكى فى التجارة ، وأنت حر من الآن .

كانت فرحتى بحريتى لاتستطيعون تصورها ، فرحة تساوى العمر كله . فما أقسى على النفس الكريمة أن تكون تابعة ذليلة ، أو أن تعيش عبدا لأحد ، حتى لنزواتها وشهواتها هى .

ومن هذا اليوم ، أصبحت حرا ، وشريكا لابن جدعان فى تجارته ، وحين مات ، أصبحت مستقلا فى تجارتى ، حتى صرت من أشهر تجار مكة وأغنيائها . ومع هذا لم أنس الفقراء والمحتاجين ، فكنت كثير العطاء ، ومساعدة المحتاج ، وعون الضعيف والمظلوم .

وهناك يوم آخر لا أنساه ، وكان له الفضل فى أن بلغت المنزلة الكريمة ، التى تسمح لى الآن أن أحدثكم عن نفسى ، وأن تكون حياتى درسا لمن بعدى . « **أتعلمون ما هذا اليوم** ؟ .

إنه يوم أن سمعت أن محمدا بن عبدالله يجلس فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ، يبشر بدين أوحى إليه من السماء ، يدعو الناس إلى التحرر من عبادة النفس ، وعبادة الصنم ، وأن يعبدوا الله الواحد .

محمد بن عبدالله ، ذلك الرجل الذى كان معروفا بين أهل مكة بالصادق الأمين ، وكانت أخلاقه ونبله ، حديث الناس فى كل مكان . وزوجه السيدة خديجة بنت خويلد سيدة قريش ، الطاهرة المصونة ، رجل هذا شأنه ، لابد أن يكون صادقا فيما يدعو إليه ، وأنه حقا رسول الله .

ولم أتردد فى اتخاذ القرار ، وأسرعت إلى دار الأرقم . وهناك وجدت صديقى « **عمار بن ياسر** » على بابها ، يهم بالدخول . فقال لى : ماذا تريد ؟ فأجبته : وماذا تريد أنت ؟ قال : أريد أن أدخل إلى محمد فأسمع مايدعو إليه . قلت له : وأنا أريد ذلك .

ودخلنا دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وفيها جلسنا بين يدى رسول الله ، وعرض علينا الإسلام ، فأسلمنا . وقضينا بقية يومنا بداخلها ، ثم لما جاء الليل ، خرجنا متخفيين من كفار مكة .

أتعرفون لماذا خرجنا متخفيين ؟ ذلك لأن الكفار كانت تعذب من يدخل فى دين محمد وتضايقه ، وأنا غريب بين أهلها ، وعشت فيهم عبدا فترة من حياتى ، وليس لى بينهم أهل ولاقبيلة تنصرنى ، وتقف بجوارى . وصديقى « **عمار** » هو الآخر من أسرة فقيرة ، لا يحسبون لها حسابا .

منذ ذلك اليوم السعيد ، الذى اهتديت فيه إلى نور الإسلام ، لم أفارق رسول الله ﷺ يوما ، ولاغبت عن مجلسه . أتعلّم منه ، وأخشى عليه من كفار مكة وأذاهم . حتى أحبنى رسول الله حبا كبيرا ، ورضى عنى ، وكنّانى « **بأبى يحيى** » .

لكن شيئا كان يؤرقنى ويتعبنى ، ويشغل بالى منذ أسلمت . وهو : لماذا نظل نخفى إسلامنا ولا نعلنه على الملأ من كفار مكة ؟! إننا على حق ، وهم على باطل . فلماذا يعلنون كفرهم ، ونحن نخفى إسلامنا ؟! .

ولاحظ بعض المسلمين هذا الهمّ الذى يتعبنى ، ورغبتى الشديدة فى إعلان إسلامى ، مهما فعلت قريش بى . فحاولوا تهدئتى وطمأنتى ، إلى أن يجىء الوقت المناسب .

لكننى فى الحقيقة لم أعد أحتمل الصبر على إخفاء إسلامى . فخرجت ذات صباح على أهل مكة ، وأعلنت إسلامى . لذلك قال بعضهم : إن أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله ، وأبوبكر ، وبلال ، وأنا ، وخباب ، وعمار وأمه .

أتعلمون ماذا فعل بى كفار مكة ؟ سأترك خالد بن الوليد قبل إسلامه يحدثكم عما لقيت من تعذيب . يقول خالد : لقد رأى منى عجبا . رأى كفار مكة يعذبونى بالنار والحديد والسياط ، وأنا لا أبالى بما يصيبنى من ألم ، بل وأتحدث إلى من يعذبونى بهدوء فى بعض شئونهم ، حتى يغمى علىّ من شدة التعذيب ، وحين أفيق ، يعاودون تعذيبهم ، وأنا أعاود الحديث إليهم .

أتعرفون لماذا كنت على هذه الحال ؟ لأن النفس إذا صدق إيمانها بربها ورسوله ، استعذبت كل ألم فى سبيل إيمانها وعقيدتها .

ولما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من تعذيب كفار قريش ، أشار علينا بالهجرة إلى الحبشة . لكننى لم أهاجر معهم ، رغم ما كنت ألا قيه من عذاب ، وفضلت البقاء فى مكة بالقرب من رسول الله . فأنا لا أستطيع أبدا البعد عنه .

لقد عشت حياتى فى الإسلام ملازما للرسول . لم يشهد مشهدا قط إلا كنت حاضره . ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها . ولم يسر سرية قط ، إلا كنت حاضرها . ولا غزا غزوة قط إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله . وما خاف المسلمون أمامهم ، إلا كنت أمامهم . ولا خافوا وراءهم ، إلا كنت وراءهم . وما جعلت رسول الله ﷺ بينى وبين العدو أبدا حتى لقى ربه .

وتمضى بنا السنوات فى مكة ، حتى يأذن رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة . فاستأذنته فى أن أبقى بمكة إلى جواره ، وأن أكون آخر من يهاجر منها .

ولا أخفى عليكم ، أننى كنت أطمع فى أن أهاجر مع رسول الله ، وأكون ثالث ثلاثة ، الرسول وأبوبكر وأنا . لكن الله أراد غير

ما أردت ، وطمعت فيه . فهاجر رسول الله ﷺ وصاحبه أبوبكر من مكة إلى المدينة ، وبقيت وحدى .

لم أتحمل بقائى فى مكة بعيدا عن رسول الله ، فأخذت أعد العدة للحاق به . لكن الكفار كشفوا خطتى ، وألقوا القبض على ، وأذاقونى من العذاب ، أشكالا وألوانا . وأخيرا تمكنت من الهرب ، وامتطيت ناقتى ، وانطلقت فى الصحراء مهاجرا إلى المدينة ، لألحق برسول الله .

وفجأة تلفت خلفى ، فوجدت مجموعة من فرسان كفار مكة توشك أن تلحق بى ، لتردنى ثانية حيث كنت . ولما اقتربوا منى صحت فيهم : تعلمون جيدا أننى أمهر رجل فى الرماية ، من يقترب منى سأرميه بسهم يقضى على حياته .

تردد فرسان قريش ، فهم يعلمون مدى مهارتى فى الرمى ، وإصابة الهدف ، وأننى صادق فيما أقول ، ومصمم عليه . صرخ أحدهم : لقد جئت إلى مكة عبدا فقيرا ، فصرت فينا غنيا مشهورا . لن نتركك تهرب بمالك ، مستحيل . فقلت لهم : أنا لم أحمل مالى معى . لقد تركت كل ثروتى ومالى فى مكة . هل أدلكم عليه ، وتتركونى وشأنى ؟ قالوا نعم . فدللتهم على مكان ثروتى ، فأسرعوا عائدين ، وواصلت أنا طريقى إلى المدينة .

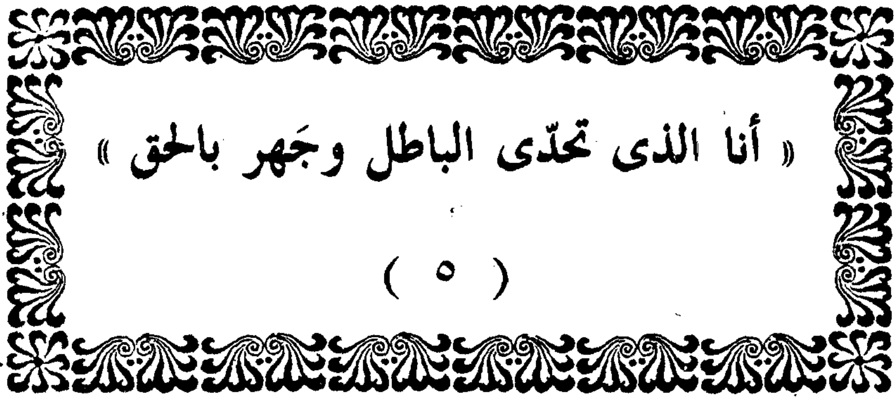
وعندما التقيت برسول الله ﷺ ، سألنى عما فعلتُ مع قريش ، فقلت له : لم يتركونى إلا بعد أن اشتريت نفسى منهم بكل ثروتى ومالى . فتبسم الرسول وقال لى : « **ربح البيع أبايحيى ، ربح البيع أبايحيى** » وصدق الله إذ يقول : ﴿ **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله رءوف بالعباد** ﴾ صدق الله العظيم .

ومن هنا بدأت حياتى فى المدينة المنورة مع رسول الله ﷺ ، والذين آمنوا من المهاجرين والأنصار . نرسى قواعد الأمة الإسلامية ، على دعائم من الإيمان والصدق . وكانت لى مساهمات فى غزوة بدر ، وأحد ، والخندق ، وشهدت المشاهد كلها مع رسول الله ما تخلفت .

ويوم انتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه ، وقفت مع أبى بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب من بعده ثم مع عثمان بن عفان . وفى خلافة على بن أبى طالب ، لقيت ربى سنة ٣٨ هـ وفى أرض البقيع بالمدينة المنورة ، كان قبرى .

أعرفتم الآن من أنا ؟

أنا صهيب بن سنان . لم أقحم نفسى يوما فى أمور الخلافة ، أو تَقَلُّدِ المناصب ، أو حتى رواية الحديث . وكنت أقول للناس : « هلموا أحدثكم عن مغازينا ، وعما تعلمت من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أما أن أقول : قال رسول الله .. فلا » .



« أنا الذى تحدّى الباطل وجَهر بالحق »

(٥)

لونى أسمر ، طويل القامة ، أبيض الرأس واللحية . تمرّدت على عبادة الأصنام ، قبل أن يظهر الإسلام بثلاث سنوات . لأننى رأيتها باطلا ، والباطل لا أتردد فى إنكاره ، ومحاربته .

حين أسلمت كان عدد المسلمين يعدّ على أصابع اليد الواحدة ، فأنا من المسلمين الأول ... يومها ، نظر إلىَّ رسول الله ﷺ متعجبا لإسلامى . ثم قال: «**إن الله يهدى من يشاء**»... أتعلمون سبب تعجب الرسول من إسلامى ؟! عند حديثى عن قبيلتى ستدركون سبب ذلك .

أنا الذى قال عنى رسول الله ﷺ : « **يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده** » وصدق رسول الله فيما قال .

بايعت رسول الله على أن لاتأخذنى فى الله لومة لائم ، وعلى أن أقول الحق ولو كان مرًّا ... وحافظت على هذا العهد طول حياتى .

حين دخلت فى الإسلام ، أسلمت كل قبيلتى ، بل وأسلمت قبيلة أخرى تسمى [**أسلمُ**] أسلموا على يدى .

ودعونى أحكى لكم عن حياتى . لعل ذلك يساعدكم على معرفة ... من أنا ؟

أنا .. من قبيلة كانت تعيش بعيدة عن مكة ، على طريق تمرُّ عليه قوافل تجارة قريش إلى الشام . وكانت قبيلتى معروفة بالسطو والسلب والنهب ، كل الناس يعرفون ذلك ، ويخشون على أنفسهم منها .

فى هذه القبيلة نشأت ، أشاركهم حياتهم ، وأعبد مثلهم الأصنام ، لكننى كنت دائما أفكر فى هذه الأصنام التى نسجد لها ، ونتخذها آلهة لنا ، وهى لاتنفع ولا تضر. حتى نفسها ، فنحن الذين

صنعناها ، ونحن موجودون قبل أن توجد ، فكيف تكون آلهة ؟!!
ولما أدركت أنها باطل ، وأن عبادتنا لها غباء ، تمردت على عبادتها ، وعبدت الله الذى خلق كل شيء !

وذات يوم ، سمعت أن رسولا بعث فى مكة ، يأتيه الوحى من الله ، فناديت على أخى ، وطلبت منه أن يذهب فورا إلى مكة ، ويقابل هذا النبى ، ويسمع ما يدعو إليه ، ويأتينى بأخباره .

وعاد أخى ليقول لى : لقد التقيت بالنبى ، ورأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، ويقول كلاما ما هو بالشِّعر . فقلت له : ياأخى ، لم ترح نفسى ، ولم تأتنى بما أريد . لابد أن أذهب إليه .

أخذت زادى من ماء وطعام ، وركبت دابتى ، وذهبت إلى مكة . وهناك التقيت برسول الله ، وسألته عما أوحى إليه من ربه ، ولما حدثنى عن الإسلام ، وجدته يدعو إلى الحق ، ويخلص الناس من عبودية الصنم والنفس ، بسطت يدى مسلما لله ورسوله . وقال لى رسول الله ﷺ : « **ارجع إلى قومك ، واشرح لهم الإسلام ، حتى يأتيك أمرى** » .

قلت يا رسول الله ، والذى نفسى بيده ، لا أرجع إلى قومى حتى أعلن إسلامى فى المسجد . إن ما تدعو إليه حق ، وعبادة الأصنام باطل . فكيف أخفى الحق أمام الباطل ... وخرجت إلى المسجد ، وناديت بأعلى صوتى : أشهد أن لا آله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ... ناديت بها وأنا غريب فى مكة .

وسرعان ما تجمع الكفار حولى ، وانهالوا علىَّ ضربا ورَكْلاً ، حتى سقطت على الأرض ، وكادوا يقتلونى . لولا أن جاء العباس عم النبى ، وخلَّصنى منهم وقال لهم : إن هذا الرجل من قبيلة تمرُّ عليها

تجارتكم ، ألا تخشون أن يحرضها ، فتقطع الطريق على قوافلكم ؟!

ولما عدت إلى قبيلتى ، أخذت أشرح لهم ما يدعو إليه محمد ، وأرغبهم فى الإسلام ، فأسلموا واحدا بعد واحد ، حتى دخلوا جميعا فى دين الله . وأصبح قطّاع الطريق ، دعاة إلى السلام والخير . بل ودعوت قبيلة أخرى إلى الإسلام ، تسمى قبيلة «**أسلم**» فأسلموا جميعا .

ولعلكم تعجبون إذا قلت لكم : إننى لم أشارك المسلمين فى غزونى « **بدر** » و« **أحد** » لأننى هاجرت إلى المدينة بعدهما . هاجرت أنا وقبيلتى وقبيلة [أسلم] ودخلنا المدينة فى موكب كبير ، نهلل ونكبر .

وحين التقينا برسول الله ﷺ ، نظر إلينا ، وقال عن قبيلتى « **غفر الله لها** » ثم قال عن قبيلة أسلم « **أسلم سالمها الله** »

عشت فى المدينة المنورة إلى جوار رسول الله ﷺ ، آخذ عنه ، وأتعلم منه . إلى أن كان ذات يوم فى شهر رمضان ، من السنة التاسعة للهجرة . أتعلمون ماذا حدث ؟

كان اليوم شديد الحرارة ، وأشعة الشمس المحرقة تشوى الأجساد وتلسع الوجوه . والمسلمون فى عُسرة من المال . ينتظرون موعد حصاد الزرع ، وجنى الثمر . وإذا برسول الله ﷺ ، يدعو إلى الاستعداد للجهاد ، وتجهيز الجيش لمواجهة الروم ، الذين تجمعوا على أطراف الجزيرة العربية ، يريدون الحرب .

وبدأ جيش المسلمين الزحف لصد الروم ، والحر شديد ، والصحراء ملتهبة ، والطريق طويل . وكلما بعد الجيش عن المدينة ، خارت عزائم بعض الرجال ، فلا يواصل السير ، ويتخلف عائدا من

حيث أتى . وكلما تأخر رجل ، يقول المسلمون يا رسول الله : تخلف فلان . فيقول لهم : دعوه ، فإن يك فيه خير ، فسيلحقه الله بكم . وإن يك غير ذلك ، أراحكم الله منه .

وكنت واحدا ممن خرج فى الجيش مع رسول الله وأصحابه . لكن بعيرى حلّ به الضعف ، من شدة الحر والجوع والعطش ، وأبطأ فى السير . وحاولت بشتى الطرق أن أدفعه للسير دون جدوى . وبذلك تخلفت عن ركب المسلمين . فقالوا لرسول الله : أننى تخلفت .

ولما وجدت الجيش يبتعد عنى كثيرا ، وخفت أن أضل طريقه ، تركت بعيرى ، وحملت متاعى على ظهرى ، ومشيت على قدمىّ مسرعا لألحق به . ورمال الصحراء تكاد تبتلع قدمىّ ، وتحرق جلدى ، ومتاعى يثقل ظهرى ، والعرق يتصبب من جسمى فيبلل ردائى .... لكن ما أسعدنى بالألم والمشقة فى سبيل الله .

قربت المسافة بينى وبين الجيش ، فرآنى بعض المسلمين ، لكنهم لم يتبينوا ملامح وجهى . فقالوا لرسول الله ﷺ : هذا رجل قادم ، يمشى على الطريق وحده . فقال رسول الله : « كُنْ ... » وذكر اسمى .

وما إن وصلت إليهم حتى صاح أحدهم : إنه والله [فلان] وذكر اسمى . ولما رآنى رسول الله ، علت الابتسامة وجهه ، وقال يطلب الرحمة لى من ربى ، وذكر أنى أمشى وحدى . وأموت وحدى . وأبعث وحدى .

ولم يطل عهد الرسول بالدنيا بعد هذه الغزوة – غزوة تبوك – ولحق بربه راضيا مرضيا . ومكثت فى عهد خليفته الأول «**أبوبكر**

الصديق» ومن بعده فى عهد «**عمر بن الخطاب**» أعلم الناس أمور الدين ، وأساهم فى نصرة الإسلام ، ومقاومة أعدائه . إلى أن استقر بى المقام فى الشام .

وتلفت حولى على طول الدولة الإسلامية وعرضها . فأحسست بخطر شديد يزحف عليها ، ويتهدد ما قامت عليه من حق وعدل ، وإعلاء لكلمة الله ، ومساواة بين الناس . ووجدت أموال المسلمين تستأثر بها فئة منهم دون سائر الناس . والمجد الشخصى يبحث عنه الحكام والأمراء ، وعرض الدنيا وزخارفها ، يسعى إليه كثيرون ، ومظاهر البذخ والثراء توشك أن تفتن الفقراء والضعفاء .

باطل أراه ، ودينى يفرض علىَّ مواجهة الباطل وتحديه وقهره . وقررت أن أحمل سيفى لأواجه هذا الباطل ، وأقاتل أصحابه . لكنى تذكرت نصيحة رسول الله ﷺ ، يوم قال لى : « **كيف أنت إذا أدركك أُمراء يستأثرون بالفَىْء ؟ فأجبته : إذًا والذى بعثك بالحق ، لأضربنّ بسيفى . فقال : أفلا أُدُلُّكَ على خير من ذلك ؟ اصبر حتى تلقانى** »

وأدركت أنه لاينبغى أن أرفع سيفى فى وجه مسلم . فالله يقول: ﴿**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأً** .﴾ ولم أفعل ما يفعله بعض المسلمين اليوم . يحملون السلاح ، ويقاتل بعضهم بعضا ، وإنما التزمت بقول الله تعالى ، ووصية رسوله . وقررت أن أجعل الكلمة العادلة ، والنصح والإرشاد سلاحى .

خرجت إلى الأمراء والأثرياء ، أدعوهم إلى العدل ، وأذكرهم بأن مال المسلمين لصالح المسلمين . وليس من حق فئة دون أخرى ، وأحذر من جمع الثروات ، وكنز المال ، ونسيان حقوق الفقراء . ورفعت شعارى قول الله تعالى : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة**

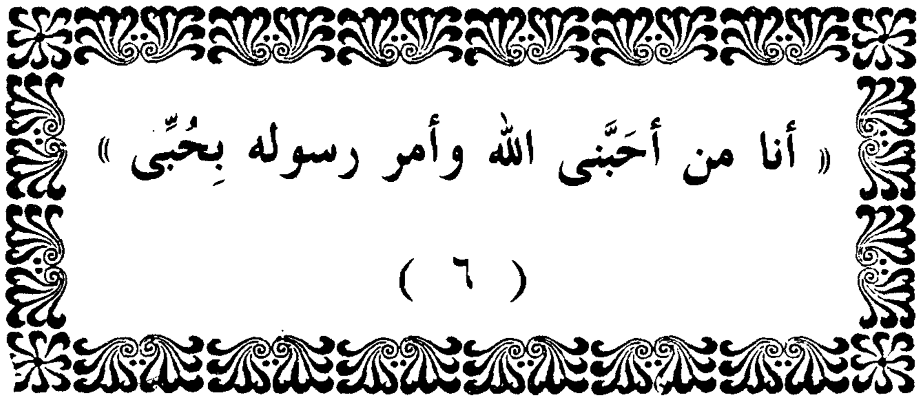
ولاينفقونها فى سبيل الله ، فبشرهم بعذاب أليم ﴾ وكانت صرختى : بَشِّر الكانزين ، الذين يكنزون الذهب والفضة ، بمكاوٍ من نار ، تكوى بها جباههم وجنوبهم يوم القيامة .

ويفزع «**معاوية**» حاكم الشام من دعوتى . ويستدعينى ليناقشنى . فسألته عن بيته الذى كان يسكنه قبل توليه الحكم ، وكيف صار اليوم قصورا . وعن ثروته قبل الحكم ، وكيف صارت كنوزا . وعن الفقراء من حوله ، ولِمَ يحرمون من نصيبهم فى بيت المال . وعن حاشيته وحياة البذخ التى هم فيها . وطالبتهم جميعا أن يردوا ذلك إلى بيت مال المسلمين ، ولهم رواتبهم ، بقدر حاجتهم ، دون إسراف أو تقتير .

واستمرت دعوتى . إلى أن كتب « معاوية » إلى الخليفة « عثمان ابن عفان » يشكونى ، ويدَّعى أننى أحرض الناس للثورة عليه . فاستدعانى الخليفة ، لأعود إلى المدينة المنورة ، وأترك الشام .

عدت إلى المدينة امتثالا لأمر الخليفة . وبقيت فيها ، أرفع شعارى « بشر الكانزين الذين يكنزون الذهب والفضة بمكاو من نار ... » وأدعو الناس إلى دين الله ، والبعد عن زخارف الدنيا، وألا يجعلوها همهم الأول والأخير ، وألا يفتنوا بها . حتى ضاقت حاشية الخليفة بى وبدعوتى ، وأوقعوا بينى وبينه . فطلبت من الخليفة أن يأذن لى فى الذهاب إلى قرية تسمى « **الربذة**» قريبة من المدينة ، وأن أعيش فيها بقية حياتى . فأذن لى .

أتعلمون لماذا كنت ثائرا على من يستغلون الحكم لصالحهم الشخصى ؟ وعلى من يكنزون الذهب والفضة ، ويحتكرون الثروة لأنفسهم ؟



« أنا من أحَبَّنى الله وأمر رسوله بِحُبِّى »

(٦)

لأننى كنت أخاف على الدولة الإسلامية من إغراءات الحكم والمال ، واستغلالهما فى المنفعة الخاصة ، لا لصالح عامة المسلمين وفقرائهم . فلطالما سمعت رسول الله ﷺ يحذر من إغراءات الإمارة والحكم والمال .

لقد عشت حياتى زاهدا فى عرض الدنيا ، متمردا على الباطل . رآنى يوما صاحب لى ألبس ثوبا قديما ، فسألنى : أليس لك ثوب غير هذا ؟ لقد رأيت معك منذ أيام ثوبين جديدين !! فقلت له : نعم ، لقد أعطيتهما لمن هو أحوج إليهما منى . فقال لى : والله إنك لمحتاج إليهما ...

وجاءتنى سكرة الموت بالحق ، وزوجتى بجوارى تبكى . فقلت لها : لم تبكين والموت حق ؟! فقالت: أبكى لأنك تموت ، وليس عندى ثوب يصلح لكفنك . فقلت لها : اطمئنى ، لا تبكى . فإنى سمعت رسول الله ﷺ ذات يوم وأنا عنده فى نفر من أصحابه يقول : « **ليموتنَّ رجل منكم بِفَلَاةٍ من الأرض ، تشهده عصابة (جماعة) من المؤمنين** » وكل من كان معى فى ذلك المجلس مات فى جماعة ، وفى قرية . ولم يبق منهم غيرى ، وهأنذا أموت وحدى فى فلاة من الأرض .

وطلبت من زوجتى أن تراقب الطريق ، فستطلع عصابة من المؤمنين ، فإنى والله ماكَذَبت ولا كُذِّبت . ثم فاضت روحى إلى بارئها . وظهرت القافلة

كان فى القافلة الصحابى الجليل «**عبدالله بن مسعود**» . وحين شاهدوا جسدا ممددا على الطريق ، وبجواره امرأة ، أقبلوا نحوها ، فطلبت منهم أن يكفنونى ، ويعينوها على دفنى . وما كاد ابن مسعود ينظر إلى وجهى ، حتى عرفنى . ففاضت عيناه بالدموع وقال :

صدق رسول الله ﷺ « **تمشي وحدك . وتموت وحدك . وتبعث وحدك** » ثم صلوا علي ، وقاموا بدفني .

هذه قصة حياتي ، فهل أكشف لكم عن اسمي ؟ أم عرفتموني ؟

أنا ... أبو ذر الغفاري

قلت لهم يوم عرضوا عليّ أن أتولى حكم إمارة من إمارات العراق : لا .. والله لن تميلوا عليّ بدنياكم أبدا .

أنا جسمى طويل وضخم ، قوى ، أسود اللون ، غزير الشعر ، فارس ماهر يقولون عني : إنني كنت حكيما ، عميق التفكير ، شديد الحب لله ورسوله .

ولّانى رسول الله ﷺ يوما إحدى الإمارات . فلما عدت ، سألنى : كيف وجدت الإمارة ؟ فأجبت : لقد جعلتنى الإمارة ، أنظر إلى نفسى ، كما لو كنت فوق الناس ، وهم جميعا دونى ... والذى بعثك بالحق ، لا أَتَأَمَّرَنَّ على اثنين بعد اليوم أبدا » .

فأنا رجل صادق مع نفسى ، أعرف مواطن القوة فيها فأنميها ، وأعرف مواضع الضعف فأتجنبها . وحين توليت الإمارة ، أصابنى الزهو والغرور ، فعرفت أننى لاأصلح لها ، حتى أجنِّب نفسى ضَعفها . فلطالما سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن السعيد لمن جُنِّب الفتن** » .

أنا الذى زوَّجنى رسول الله ابنة عمه «**ضُباعَةَ بنت الزبير بن عبدالمطلب**» بعد أن رفض عبدالرحمن بن عوف ، أن يزوجنى ابنته !

قال عبدالله بن مسعود عن موقفى يوم غزوة « بدر » (لقد شهد مني موقفا ، تمنَّى لو أنه كان صاحبه ، لكان ذلك أحب إليه مما فى الأرض جميعا) وقالوا : إننى أول من قاتل على فرس فى سبيل الله . كان ذلك فى غزوة « بدر » .

فهل تريدون أن تعرفوا من أنا ؟

أنا من قبيلة تسمى [بهراء] إحدى قبائل اليمن . وأبى «**عمرو ابن مالك**» أحد شيوخها . نشأت على حب الفروسية ، وتَعَلَّم فنون الحرب ، حتى صرت فارساً لا يقهر . .

ذات يوم – قبل أن أعرف الإسلام – حدثت مشادة بينى وبين رجل من قبيلة أخرى ، فقتلته ، واضطررت إلى الهروب خوفا من الثأر الذى تطالب به قبيلته ، فاتجهت إلى « مكة » . وهناك تحالفت مع رجل من زعمائها يسمي « الأسود بن عبديغوث » فأحبنى ، وتبنّانى ، ونسبنى إليه ، فحلّ اسْمُهُ مكان اسم أبى ، ... ولما نزل قول الله تعالى ، ينسخ التبنّى ﴿ **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله** ﴾ حملت اسم أبى مرة أخرى .

كنت لم أبلغ الثلاثين من عمرى ، حين بعث الله محمدا بن عبدالله رسولا إلى الناس ، يهديهم إلى الحق والخير . فهدانى الله إلى الإسلام ، وكنت ممن كان لهم السبق فى الإيمان بالله ورسوله .

ورغم مالقيت من إيذاء كفار قريش ، وتعذيبهم ، ومحاولاتهم المستمرة لإعادتى إلى الكفر والضلال مرة أخرى . إلا أننى تحملت كل هذا ، بنفس مطمئنة وإيمان لا يتزعزع . بل كلما زادوا فى تعذيبى ، ازداد إيمانى ، وتمسكى بدين الله .

أتعرفون لماذا ؟ لأننى أحببت الإسلام . الدين الحق . والحب عندى إيثار وتضحية ومسئولية . وهكذا عشت حياتى فى الإسلام .

ولما رأى رسول الله ﷺ ، مايتعرض له المسلمون فى مكة ، من شدائد وآلام ، أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة ، وكنت واحدا ممن هاجروا إليها . وحين عدنا إلى مكة بعد إسلام « عمر بن الخطاب » وجدناها لازالت معاندة للإسلام والمسلمين ، مُصِرَّة على الكفر والضلال .

وكانت إرادة الله ، والإذن لرسوله بالهجرة إلى «**المدينة**» فهاجر وبقيت فى مكة ، أتحيَّن الفرصة التى تمكننى من الهجرة ، واللحاق به .

عشت فى مكة بعد هجرة الرسول ﷺ ، وكنت ألتقى بصديق مسلم ، يسمى «**عتبة بن غزوان**» نفكر فى وسيلة للهجرة إلى المدينة ، ويشكو كل منا لصاحبه ما يلاقيه من آلام ، وهَمٍّ ، واضطهاد من كفار مكة .

وذات يوم ، جاءت الفرصة . سمعنا بخروج قافلة لقريش ، وعلمنا أنها ستمر قريبا من المدينة المنورة وهى فى طريقها . أسرعنا ، وجمعنا أمتعتنا ، وخرجنا مع القافلة ، وفى نيتنا أن نفرَّ إلى المدينة ، عندما تكون القافلة قريبة منها ، ونحتمى بالمسلمين هناك ... وتم لنا ما أردنا .

عشت فى المدينة المنورة بجوار رسول الله ﷺ ، وأصحابه من المهاجرين والأنصار . وازداد حبى لرسول الله ، وازداد إحساسى بمسئوليتى فى حمايته ، وحماية الدعوة . فما كنت أسمع حدثا ، أو هرجا أو فزعا ، إلا وترانى أُسْرع من الريح ، متجها إلى مكان رسول الله ، واقفاً على بابه ، أو بجواره ، راكبا فرسى ، ممسكا بسيفى ، حتى أحميه من أى خطر . وكفى بالله خير الحافظين .

أظنكم فى شوق إلى معرفة الموقف الذى وقفته ، وتمنَّى عبدالله ابن مسعود أن لو كان هو صاحبه ؟

كان ذلك يوم الاستعداد لغزوة « بدر » . حين جمعت قريش فرسانها ، وزحفت نحونا فى المدينة المنورة ، تريد حربنا ، والقضاء على الإسلام والمسلمين .

يومها .. اجتمع رسول الله ﷺ بأصحابه ، يستشيرهم فى أمر مواجهة جيش الكفار ، وقال : « **أشيروا على أيها الناس** » .

وتكلم أبوبكر الصديق ، وتحدث « عمر بن الخطاب »

فأحسنا . فما كان لى أن أتكلم قبلهما ، اعترافا بمكانتهما وقدرهما فى الإسلام . ثم تكلمت قائلا :

« يا رسول الله ... أمض لما أراك الله ، فنحن معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون) بل نقول لك : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون . والذى بعثك بالحق نبيا ، لو سرت بنا إلى بِرْك الغماد ، لجالدنا معك من دونه ، حتى تبلغه . ولنقاتلن عن يمينك ، وعن يسارك ، وبين يديك ، ومن خلفك ، حتى يفتح الله لك » .

فعلا وجهه البشر ، ودعا لى .. ثم قال : « **سيروا وأبشروا** ..»

أتعلمون لماذا كان هذا رأيى ؟ ورأى رفاقى ؟ لأن المؤمن لايعرف التخاذل أو التردد فى مواجهة الباطل وتحديه ، ولا يبخل بالمال أو النفس فى سبيل نصرة دين الله الحق ، لأنه يعرف أن الإيمان مسئولية ، والمسئولية سلوك وتبعات وتضحيات .

وكانت غزوة «**بدر الكبرى**» . وكنت أحد فرسانها ، أصول وأجول فوق حصانى ، أصرع أبطال الكفر ، وألقى فى قلوبهم الرعب ، فكانوا يفرون خشية الموت الذى يحمله سيفى . حتى كتب الله النصر للمؤمنين . وخذل كفار قريش . الذين ظنوا أن كثرة عددهم ، سوف تغلب القلة المؤمنة ، ونسوا أن الحق أحق أن يتبع .

تلك الغزوة تلتها غزوات ، لم أتخلف عن واحدة منها ، بل كنت فيها جميعا ، بجوار رسول الله ﷺ : فارسا شجاعا ، خبيرا بفنون المعارك ، لا أبالى حين أقتل مسلما ، على أى جنب كان فى الله مصرعى .

يقول على بن أبى طالب ، كرم الله وجه ، إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **« لم يكن نبىّ إلا أعطى سبعة نجباء وزراء ورفقاء ، إنى أعطيت أربعة عشر ...** » وذكرنى منهم .

لم ينقطع جهادى فى سبيل الله بموت رسول الله ﷺ ، بل استمر فى خلافة أبى بكر الصديق ، ومن بعده « عمر بن الخطاب » فى حروب الردة ، والفتوحات الإسلامية .

ولما قاد « عمرو بن العاص » جيش المسلمين ، لفتح « مصر » وتعذَّر عليه اختراق أسوار حصن « بابليون » أرسل إلى الخليفة « عمر ابن الخطاب» يطلب منه المدد والعون ، فأمده الخليفة بأربعة آلاف جندى ، وعلى رأسهم أربعة من كبار الصحابة ، وكتب إليه « **إنى قد أمددتك بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف منهم رجل مقام الألف ، الزبير بن العوام ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مُخلد ، وذكرنى رابعهم** » قال عنا عمر بن الخطاب ، إن الواحد منا بألف رجل .

كنت ذات يوم جالسا مع بعض أصحابى ، فمرّ علينا رجل ، وخاطبنى وهو يشير إلى عينىّ : طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ . فقلت للرجل : لماذا يتمنى أحدكم مشهدا غيَّبه الله عنه ، ولا يدرى ، لو شهده كيف كان يصير فيه ؟!! والله لقد عاصر رسول الله أقواما ، كبَّهم الله عز وجل على مناخرهم فى جهنم . أو لا تحمدون الله ، الذى جنبكمْ مثل بلائهم ، وأخرجكم مؤمنين بربكم ونبيكم .

لقد عشت بعد رسول الله ﷺ ، وفيا بعهد الإسلام ، محبا لآل بيته . وعندما مات الخليفة عمر بن الخطاب ، واختلف المسلمون

على من يتولى الخلافة ، فريق يؤيد اختيار « **عثمان بن عفان** » وفريق يؤيد اختيار « **على بن أبى طالب** » لا أكتمكم الحقيقة ، فقد كنت أؤيد اختيار « **على بن أبى طالب** » . لكننى قبلت ما انتهى إليه الرأى ، من اختيار « **عثمان بن عفان** » لأننى لا أحب أن يختلف المسلمون ويتقاتلوا وتحدث الفتنة بينهم . فالله سبحانه ، يهب الملك لمن يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء . ثم إن الخلافة والحكم ، تكليف لا تشريف .

ومرت الأيام ... لكننى آثرت أن ألزم دارى ، التى بنيتها قريبا من المدينة المنورة ، فى مكان يسمى [**الجرف**] ، أخلو فيها إلى نفسى ، وأستعيد ذكرى أيامى مع رسول الله ، وذكرى حياة عشتها فى نصرة دين الله . فأحمد الله على توفيقه لى ، وأسأله القبول .

أرجوكم ... لاتتساءلوا عن سبب اعتزالى فى دارى ، وبعدى عن المشاركة فى أحداث المسلمين وشئونهم ؟ ولا تظنوا ذلك هروبا من تحمل المسئولية والواجب ؟ وتخلِّياً عن منهجى الذى وهبت له حياتى ، فى الدفاع عن الدين ونصرته ؟ واسمحوا لى أن أعرض لكم وجهة نظرى ، وحالتى ، حتى أزيل علامات الاستفهام من أمامكم .

أنا كما قلت لكم ، كنت ضخم الجسم ، كبير البطن ، وقد جاوز عمرى الستين ، ولم أعد قادرا على المشاركة بقوة وفاعلية فى الحياة . وقد رأيت الفتنة تطل برأسها بين صفوف المسلمين ، وحب السلطان والحكم ، يستولى على بعض النفوس ، وبدأت المؤامرات تدبر ، والمسلم يرفع سيفه فى وجه أخيه المسلم ، فكان لابد لى أن أكون مع فئة ضد فئة ، وكلتاهما مسلمة . فكيف أرضى بهذا . قلت فى نفسى ، من منطق دينى وإيمانى :

حرام علىّ **أن** أحارب مسلما ، أو أرفع السيف فى وجهه ، أو أعمل على سفك دمه . فالله يقول : ﴿ **إنما المؤمنون أخوة** ﴾

ولطالما سمعت رسول الله ﷺ يحذر من هذا وأمثاله .

لذلك آثرت العزلة فى دارى ، بعد أن أديت دورى فى مطلع الرسالة ، وآن لى أن أستريح ، ليأخذ غيرى دوره ، فلكل زمان دولة ورجال . وأصبح دوري الآن ، الكلمة والنصيحة .

كان « **بطني** » سبب علتى ومرضى ، حتى لقيت ربى ، فى سنة ٣٣هـ كما يقولون . وحملوا جسمانى إلى المدينة المنورة ، حيث قبرى

فهل عرفتم من أنا ؟

أنا ... « **المقداد بن عمرو** » كان اسمى فى الفترة التى تبنانى فيها « الأسود بن عبديغوث » « المقداد بن الأسود » ولما أبطل الإسلام التبنىّ ، عدت إلى اسمى الأول « المقداد بن عمرو » .

قال لى رسول الله ﷺ يوما « **إن الله أمرنى بحبك ، وأنبأنى أنه يحبك** » والله يحب الصادقين .

« أنا رجـل من أهل الجنّـة »

(٧)

دعوكم من شكلى وجسمى ، فالكل فى مكة كان يعرفنى شابا يرفل فى ثياب الثراء والعزّ ، يتيه بشبابه . يوم كانت مكة تعيش فى ظلّ الأصنام ، وتشرب الخمر ، وتلعب الميسر ، وتئد البنات .

يوم كانت الدماء تروى الصحراء ، فى ظلال العصبية والقبلية ، والرايات الحمر تتحدى الشرف والأخلاق .

فى هذه البيئة ولدت ، ونشأت ، حتى بلغ عمرى سبعة عشر عاما ، يومها ، صَحَت مكة على نداء الحق . وأفزعتها أنوار تكشف الحقيقة ، وتُعرّى الباطل ، وتفضح العقول والأفكار ، وتزلزل جبروت الأصنام ، وتهزّ عروش الجاهلية .

أنا ابن عم السيدة « **آمنة بنت وهب** » والدة رسول الله محمد . وبذلك أعتبر خال الرسول .

كنت إذا قدمت على رسول الله ﷺ ، حيّانى ، وداعبنى . وقال لأصحابه : « **هذا خالى ، فليرنى امرؤ خاله** » .

أنا بطل القادسية ، وفاتح المدائن ، ومؤسس مدينة الكوفة بالعراق .

قالوا عنى : إننى فارس وقائد ماهر ، من قواد المسلمين . كثير البكاء من خشية الله ، صوام وقوام ، كريم كثير العطاء .

أتريدون أن تعرفوا من أنا ؟

أنا ولدت فى بيت من أكبر بيوت مكة وأعرقها ، من أبوين شريفين ، فعشت فى النعيم والرفاهية . وكان حبىّ لأمىّ ، وحبها لى مضرب الأمثال بين الناس .

نشأتْ بينى وبين « أبى بكر » صداقة قوية . فكنت دائما معه ، استمد منه المشورة ، وآنس به ، وأثق فيه .

سمعت ذات يوم ، أنه ترك دين قريش ، وآمن بدين جديد ، يدعو إليه محمد بن عبدالله . فأصابنى حزن كبير ، ولم أصدق هذا الخبر . أتعرفون لماذا حزنت وأصابنى الهمّ ؟

لأننى خشيت على صداقتنا أن تتعرض للخطر . فكفار مكة لن يقبلوا غير دينهم ، ولن يستجيبوا لما يدعو إليه محمد ، وسيصبح لقائى بأبى بكر ، والجلوس معه صعبا . لن تقبله قريش .

أسرعت إلى خارج مكة ، وجلست على إحدى ربواتها ، أفكر ، وأقول لنفسى : أبوبكر رجل عاقل ، وحكيم ، وصادق . ولا يمكن أن يترك دين آبائه وأجداده ، إلا إذا وجد ما يدعو إليه «**محمد**» خيرا منه . ولماذا لا ألقاه ، وأتحدث إليه فى هذا الأمر ، وأناقشه فيه ؟ فلا يصح أن أسمع كلاما عنه ، وأحكم عليه ، دون أن أسمع منه هو . فقد يكون ما قيل لى عنه ، غير صحيح .

والتقيت بأبى بكر ، وأكّد لى صدق ما سمعت ، وجلس يحدثنى عن الإسلام الذى يدعو إليه محمد بن عبدالله ويبشر به . ولا أكتمكم الحقيقة ، فما قاله أبوبكر عن دعوة « محمد » كلام لاينكره عاقل ، ولا يكفر به إلا من يكون غبيا ، أو معتوها ، أو متعصّبًا .

فلم أتردَّدْ فى اتخاذ القرار ، وشهدت أن لا إلٰه إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وكنت أوّل من أسلم من الفتيان . وعمرى يومها سبعة عشر عاما .

أتعلمون ماذا فعلت أمّي يوم علمت أنني أسلمت ، واتبعت الدين الذى جاء به محمد ﷺ ؟ لقد حزنت حزنا عميقا ، وأقامت الدنيا وأقعدتها . وأخذت تتودّد إلىّ بحبّى لها أن أترك دين محمد ، وأعود إلى الكفر والضلال مرة أخرى . مرّة تُغرينى ، ومرة تهدِّدنى ولما رأت إصرارى على الإسلام ، قررت أن تُرغمنى على تركه . وقالت لى :

إن لم ترجع إلى دين آبائك ، وتترك الإسلام . سوف أُضرب عن الطعام والشراب ، حتى أموت ، فيعيِّرك الناس بى طول حياتك . فقلت لها : لا تفعلى ذلك يا أمى . إننى لن أعود إلى الكفر بعد أن عرفت الحق ، ودخلت فى الإسلام .

ونفّذت أمى إضرابها عن الطعام والشراب ، حتى أشرفت على الموت ، وجاء بعض أهلى ، لأذهب معهم إليها ، وألقى عليها النظرة الأخيرة قبل أن تهلك وكلهم أمَل فى أننى حين أراها تُصارع الموت جوعا ، سيرقُّ قلبى ، وأرجع عن دين محمد ، لأنقذ أمى من الموت .

وذهبت إلى أمى . إلى أُحبّ إنسان عندى ، وحين دخلت عليها ، كاد قلبى أن يتمزق حزنا عليها ، وشفقة لحالها . وترقرقت عيناى بالدموع ، فانحنيت عليها أقبلها ، ثم همست فى أذنها : يا أمى ، أنت علىّ عزيزة ، لكن دينى أعزّ . أنت لقلبى حبيبة ، لكن الله ورسوله إلىّ أحبّ . مستحيل أن أبيع دينى بحياةِ أى إنسان على الأرض ، حتى ولو كانت أمىّ . يا أمىّ .. لو كانت لك مائة نفس ، فخرجت نفسا نفسا ، ما تركت الإسلام ، فكلى إن شئت ، أو لا تأكلى .

وأمام قوة إيمانى ، وإصرارى على التمسك بدينى . لم تجد أمِّى مفرا من أن تعدِل عن إضرابها ، وأكلت وشربت .

ويقولون ، إن السماء ، حَيَّت موقفى هذا مع أمّى ، ونزل قول الله تعالى ﴿ **وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به عِلم . فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب إلىّ ، ثم إلىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعلمون** ﴾

نسيت أن أقول لكم ، إن الدعوة إلى الإسلام فى أول أمرها كانت سرًّا . وكنا نتخفَّى عن عيون الكفار ، لنؤدّى صلاتنا .

وذات يوم ، كنت أصلّى مع بعض أصحابى فى شِعب من شِعاب مكة . حين رآنا بعض الكفار ، وراحو يسخرون منا ، ويعيبون ديننا . وحدثت بيننا مشادة ، فاقتتلنا ، وأمسكت بعظْم جَمَلٍ ، وضربت أحدهم . فسال دمه غزيرا على الأرض . عندئذ فرّ بقية الكفار . وواصلنا صلاتنا تحديًا لهم .

كان الدم الذى سال من هذا الكافر ، أول دم يسيل من كافر فى الإسلام . وكنت أنا الذى أسلته .

لازمت رسول الله ﷺ ، منذ أسلمت . أحفظ منه وحى الله ، وتعاليم الإسلام . وأشاركه غزواته . وكنت محل ثقة الرسول وحبه .

ولعلكم تقولون لى . لقد قرأنا قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه « ما جمع رسول الله ﷺ أبَاهُ وأمَّهَ لأحد إلا لـ .؟. » أى أنا . فلماذا قال ذلك ؟ نعم .. قال على بن أبى طالب ذلك . وسأحكى لكم متى افتدانى رسول الله بأبيه وأمه .

كنا فى غزوة « أحد » وكان الموقف صعبا ، وتفرَّق جيش المسلمين . لكنى بقيت بجوار رسول الله ، أقاتل الكفار ، رغم إصابتى الشديدة ، وأصدُّ السّهام الموجهة إليه . ورسول الله يدعو لى ،

ويشجعنى ، قائلا : « ارم .. ؟ .. أرْمِ أيها الغلام القوى ، ارم فداك أبى وأمّى » .

ومضى عهد الرسول ﷺ ، ومن بعده عهد أبى بكر الصديق . وأنا جندىٌّ من جنود الإسلام . يؤدى دوره ، ويحمل تبعات إيمانه ، ويعبد الله كأنه يراه .

وحين ولِيَ الخلافة عمر بن الخطاب ، وجيوش المسلمين فى جهادها ببلاد فارس ، وتأتى الأنباء بموقف الجيوش غير المطمئن . فيقرر **«عمر»** أن يقود الجيوش بنفسه . لكن بعض الصحابة ، رأوا أن فى ذلك مخاطرة بحياة أمير المؤمنين ، والمسلمون فى حاجة إليه أميرا لا مقاتلا . وأشاروا عليه أن يبقى ، ويسندَ مهمة القيادة لأحد الصحابة الكبار .. وكنت أنا ذلك الصحابى الذى أسند إليه قيادة الجيوش فى العراق .

وهناك .. على أبواب العراق ، عند **«القادسية»** عسكرت بجيوش المسلمين ، وأرسلت إلى قائد جيش الفرس ، أدعوه إلى عبادة الله الواحد ، وترك عبادة النار ، والتصديق بمحمد رسولا من عند الله . وإلا .. فهى الحرب بيننا وبينهم .

هكذا ، علّمنا دين الإسلام ، ونبىّ الإسلام . فلسنا دعاة حرب وسفك دماء ، إنما دعاة حُبٍّ وسلام وإسلام .

رفض عُبَّادُ النار ، وأصروا على حرب الإسلام والمسلمين . معتمدين على أسلحتهم التى كانت عندهم ، وليس عندنا مثلها . وعلى كثرة عددهم ، التى كانت أضعاف عددنا ... لكنهم نسوا أن الإيمان والحق ، تسقط معهما مقاييس الحرب البشرية ﴿ **ولينصرنّ الله من ينصره** ﴾ .

وأصابنى مرض قبل أن تبدأ المعركة ، التى سميت بمعركة القادسية . وملأت الدمامل جسدى ، فكنت لا أستطيع الجلوس ، أو ركوب الخيل ، لقيادة المعركة .

وتساءلت نفسى : لو تأخرت المعركة حتى أُشفى من مرضى ؟ لو أن المعركة بدأت قبل أن يُصيبنى المرضُ ؟ لو .. لو ... لكننى تذكرت نصيحة رسول الله ﷺ ، وهى أن لا يقول الإنسان ، حين يُصيبه شر ، أو يفشل فى عمل ، « **لو** » أنى فعلت كذا ، لكان كذا . فإن « لو » هذه تفتح عمل الشيطان ، وتُصيب الإنسان باليأس . ولكن على المسلم أن يقول : قدّر الله وما شاء فعل !!

ودارت الحرب بيننا وبين الفرس ، وكنت فى شرفة دارى التى اتّخذتها مقرا للقيادة ، أدير المعركة ، وفرسان الله ، يحاربون باسم الله ، وفرسان النار يتهاوون كالذئاب قتلى ... حتى هزمناهم شر هزيمة ، ونصرنا الله عليهم .

أتعلمون ماذا حدث بعد هذه المعركة ؟

لقد دخل فى دين الإسلام كثيرون من كبار الفرس وقادتهم . لأنهم أدركوا أن الجيش الذى انتصر ، والجنود الذين يقاتلون بمثل هذه الشجاعة والفدائية ، لايمكن أن يكون الدين الذى يؤمنون به باطلا . بل هو الحق الذى يجب اتباعه ، والإيمان به .

وكعادة المسلمين فى البناء والتعمير . قمت ببناء مدينة « **الكوفة** » وتأسيسها ، وجعلتها مقرا للحكم ، ومنارة للدعوة الإسلامية .

ولم يمض وقت طويل حتى كانت جيوش المسلمين ، تعبر نهر « **دجلة** » **وفتحنا** « **المدائن** » حاضرة بلاد الفرس ، بعد أن حاصرناها

شهرين . وأطفأنا النار التى كانت تعبد من دون الله فى بلادهم ، وإلى الأبد .

بقيت واليا على العراق ، إلى أن استدعانى الخليفة عمر بن الخطاب ، لأكون بجواره فى المدينة المنورة . ولم أخالف أمر الخليفة ، فإن له علىَّ حق الطاعة . وبقيت بجواره ، إلى أن طُعن وهو يصلى الفجر فى المسجد ، بيد أبى لؤلؤة المجوسى .

وحين أحس « **عمر** » بقرب نهايته ، اختار ستة من كبار الصحابة ، وعهد إليهم باختيار خليفة للمسلمين بعد موته . وكنت أنا واحدا من هؤلاء الستة ، أصحاب الشورى .

انتهت الشورى ، باختيار « **عثمان بن عفان** » خليفة للمسلمين ، وكان موقفى معه ، كما كان دائما جنديًّا من جنود المسلمين . أدافع عن الدين ، وأبدى الرأى والمشورة . وأنصح ، وأعلّم .... حتى كان قضاء الله فى « عثمان » .

ودخلت الأمة الإسلامية فى فتنة ، ما كان أقساها على النفوس المسلمة . يومها قلت « **ما بكيت فى الدهر إلا ثلاثة أيام . يوم توفى رسول الله ﷺ ، ويوم قُتل عثمان ، واليوم أبكى على الحق . فعلى الحق السلام** »

وفى دارى بمكان يُسمى « **العقيق** » وأنا فى سكرات الموت ، أشرت لابنى إلى خزانة ، ففتحها ، وكان فيها رداء قديم . فقلت له : كَفِّنونى فى هذا الرداء . لقد كنت ألبسه ، وأنا أحارب الكفار يوم غزوة « **بدر** » حفظته من يومها ، لأكفن فيه .

وفى أرض « **البقيع** » بالمدينة المنورة ، كان قبرى . وقد تجاوز عمرى السبعين .

فهل عرفتم من أنا ؟

أنا ... سعد بن أبى وقاص

أحد العشرة ، الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة . ودعا لى الله قائلا « **اللهم سدّد رميته ، وأجب دعوته** »

فاذكروا جيدا قول رسول الله ﷺ « **أصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم** » .

« أنا راهب الليل ، وفارس النهار »

(٨)

من أنا .. ؟ حتى أحدثكم عن نفسى .

أنا .. لم أُعَمّر فى الإسلام طويلا ، حتى يكون لى سجل زاخر بالأحداث والأعمال ، حتى أحدثكم عنها .

لكن أذكركم ، بأن حياة الإنسان ، لا تقاس بطول العمر ، وعدد السنوات التى عاشها . إنما تقاس بالأعمال ، وبالأثر الذى خلفه من بعده

قال لى رسول الله ﷺ ، وأنا على فراش الموت ، وقبل أن ألفظ أنفاسى الأخيرة : « **رحمك الله يا أبا السائب . خرجت من الدنيا ، ما أصبت منها ، ولا أصابت منك** » . والسائب هذا هو ابنى .

هكذا كانت حياتى فى الدنيا ، كما عبّر عنها رسول الله . لم أنلّ من نعيم الدنيا شيئا . ولم تستطع بمغرياتها ومفاتنها ، أن تنال منى . وتلك كانت فلسفتى فى الحياة . جعلت الدنيا مزرعة للآخرة ، وتزوّدت منها بالعمل الصالح ، الذى ينجينى يوم العرض على الله . وهذا ما دفعنى لأحدثكم عن حياتى . وأنتم اليوم أحوج إلى هذا الحديث .

قالوا عنى ، إننى راهب بالليل ، أقوم لله ساجدا وقائما . وفارس بالنهار أجاهد فى سبيل الله ، وأشارك المسلمين فى صنع الحياة

أنا حرّمت الخمر على نفسى ، قبل أن تُحرَّم فى الإسلام ، وقلت : لا أشرب شرابا يُذهب عقلى ، ويُضحك بى من هو أدنى منى .

كانت نشأتى وحياتى فى مكة ، لا تختلف كثيرا عن حياة الناس فيها يومها . حتى بعث الله محمدا ﷺ نبيا ورسولا . وكنت ممن

وقفوا يستمعون إليه ، فى بداية دعوته ، ينادى بالإسلام .

وحين انصرفنا من حوله ، ظلت كلماته ترنّ فى أذنى ، وتهزُّ أعماق ، ومكثت أياما أفكر فيما قال . ولا أكتمكم الحقيقة ، فلقد عشت هذه الأيام ، قلقا حزينا كنت فى صراع مع نفسى . هل أستمع لدعوة محمد إلى الإسلام ؟ أم أظلّ عبدا للأصنام ؟

وانتصر الخير فى نفسى . وعلى الفور ، توجهت إلى رسول الله ﷺ ، أُعلن إسلامى ، وأصبحت الرابع عشر فى المسلمين . لكنى عشت بقية حياتى نادما . أتعرفون على ماذا ؟ على أننى تأخرت فى إسلامى ، وأسلم قبلى ثلاثة عشر وأتمنى لو كنت أنا أول المسلمين .

وطويت صفحة حياتى قبل الإسلام ، بكل مالها وما عليها وما كان فيها . وبدأت حياة جديدة ، بجوار رسول الله ﷺ ، ومعى زوجتى وابنى السائب .

وكما كان يحدث لكل من اتبع محمدا . بدأت قريش فى تعذيبى ، حتى أكفر بالإسلام ، وأعود إلى عبادة الصنم ، وحياة الجاهلية .

ضربونى ، وسجنونى ، وألقونى فوق الرمال المحرقة ، ووضعوا الصخور المحمية فوق صدرى وبطنى . لقد عهدوا بتعذيبى إلى رجل من أهلى ، هو ابن عمى **«أمية بن خلف»** فكان قاسيا فى تعذيبى . لم يرع رحمًا ، ولم يصن عشرة . مع أنه كان قريبا إلى نفسى .

وصدّقونى إذا قلت لكم . إن من ذاق حلاوة الإيمان ، وآمن حقا بالله ربًّا ، وبالإسلام دِينًا ، وبمحمد رسولا . لايمكن أن تهتز شعرة واحدة من جسده ، مهما ناله من تعذيب وألم ، ومهما صادفه من مشقات ومتاعب . فما أعذب كل هذا فى سبيل الله .

ورقّ قلب النبى لما نلقاه من تعذيب . وكان يتمزق لحالنا ، فالمسلمون لازالوا قلة مستضعفة ، ولا يستطيع أن يفعل شيئا . فأذن لنا بالهجرة إلى الحبشة !

كان ذلك فى السنة الخامسة للدعوة ، فهاجرنا إلى الحبشة ، وكان عددنا أحد عشر رجلا ، وأربع نساء . ورغم أن عثمان بن عفان كان معنا هو وزوجته «**رقية**» بنت رسول الله . إلا أننى كنت رئيس هؤلاء المهاجرين الأول .

لا تظنوا أننا هاجرنا لننجو من تعذيب قريش ، أو أننا ضقنا بالعذاب ، ونودّ أن نستريح ... لا ... لقد هاجرنا ؛ لأن رسول الله ﷺ رأى ذلك ، وأمرنا بالهجرة . فإن تعذيبنا ونحن بجوار الرسول ، أهون علينا من البعد عنه ، ومن مرارة الغربة .

وهناك فى الجبشة ، عشنا نعبد الله فى أمن وسلام ، ونتدارس القرآن ، الذى كان يأتينا مع الوفود أولا بأول . لكن قريشا كانت فى غيظها وحقدها ، لا تريد لنا الاستقرار . وتعمل بشتى الطرق لإعادتنا إلى مكة ، حتى لا ينتشر أمر الدين فى البلاد . وحتى تمارس معنا أساليبها الوحشية ، وتحاصر المسلمين فى مكة ، وتقضى عليهم .

وذات يوم . جاءتنا الأخبار ، بأن قريشا ، دخلت فى دين الله ، وأسلمت ، فطرنا فرحا وسعادة ، وشدنا الحنين إلى جوار رسول الله ﷺ . فحزمنا أمتعتنا ، ورحلنا من الحبشة عائدين !

وعلى مشارف مكة ، تبينا كذب الأخبار التى جاءتنا ، وأن قريشا سربت هذه الأخبار إلينا ، لنعود ونقع فى قبضتها .

التقى بى «**الوليد بن المغيرة**» وكانت تربطنى به صداقة ومحبة ، وألح علىّ أن أدخل مكة فى جواره « يعنى ؛ حماه » . وكانت عادة

العرب ، إذا دخل رجل ضعيف فى حماية سيد من قريش ، لايمكن لأحد أن يمسّه بسوء أو أذى . وقبلت جواره ، ودخلت مكة آمنا . أروح وأجىء . لايتعرض لى أحد من كفار مكة .

لكن إخوانى المستضعفين والفقراء ، لم يجدوا من يأخذهم فى جواره مثلى . فتلقفتهم قريش ، وراحوا يمارسون معهم أبشع أنواع التعذيب .

كنت أمر عليهم وهم يعذبون ، ويصرخون ، فيتقطع قلبى ، وأحس بخناجر تطعننى فى كل جسدى ، وتمزق أحشائى . وأنا أعيش فى أمان ، ولم يعد ينالنى من العذاب شيئا . كما كان حالى قبل الهجرة إلى الحبشة .

وساءَلْتُ نفسى ذات يوم : هل من الرجولة أن أعيش آمنا وأفر بجلدى من التعذيب ، وإخوانى فى الله يعذبون ؟! هل من الإيمان أن أميَّز عن بقية المسلمين ؟! هل أرضى بحماية رجل كافر ، عدوٌ لله ورسوله ؟؟ والله إن بقائى آمنا وهم يعذبون ، لوصمة عار فى جبينى ، ونقص فى إيمانى . لماذا لاينالنى ما ينالهم ؟! لماذا حرمت نفسى لذة تحمل الأذى فى سبيل الله !!

انطلقت إلى « الوليد بن المغيرة » وقلت له : قد رددت إليك جوارك ، ولا أريد حمايتك . فقال لى : هل آذاك أحد من أهلى ، حتى ترد جوارى ؟ قلت له : لا ولكنى أحب جوار الله وحمايته ، ولن أستجير بغيره . قم بنا إلى المسجد ، لأرد لك جوارك .

ولما أتينا المسجد . قال الوليد : هذا (وذكر اسمى) قد جاء يرد علىّ جوارى . فقلت : صدق الوليد . لقد وجدته كريم الجوار ، لكننى أحب جوار الله ربى ، ولا أريد جوار أحد غيره .

فى هذا اليوم ، أصيبت عينى . ولعلكم تتساءلون ، لماذا أصيبت عينك ، وكيف ؟ بعد أن رددت جوار الوليد ، جلست فى مجلس ، كان فيه الشاعر **«لبيد بن ربيعة»** ينشد الشعر ، فسمعته يقول [ألا كل شىء ما خلا الله باطل] فقلت له : صدقت . وأكمل البيت قائلا : [وكل نعيم لا محالة زائل] . فقلت له كذبت ، إن نعيم الجنة لا يزول . فغضب « لبيد » وثار أحد الجالسين . كيف أهين الشاعر فى مجلسهم ؟ وحدثت بينى وبينه مشادة كلامية ، فلطمنى على عينى ، فأصابها بأذى .

فقال لى الوليد بن المغيرة ، الذى كنت فى جواره : لو بقيت فى جوارى ؟ لما استطاع هذا الرجل ، أو غيره ، أن يضربك على عينك ، ويصيبها بأذى . فقلت له : لا والله . إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله . وإنى لفى جوار من هو أعزّ منك وأقدر . فقال : هيا عد إلى جوارى مرة أخرى . فقلت له : لا .. وألف لا .

نسيت أن أقول لكم : إنى شاعر من شعراء العرب . ولقد قلت شعرا فى عينى التى أصيبت . قلت :-

فإن تك عينى فى رضا الله نالها   يدَا ملحد فى الدِّين ليس بمهتدى
فقد عوّض الرحمن منها ثوابها   ومن يرضهِ الرحمن ياقوم يَسْعَدِ

وعادت قريش مرة أخرى ، تذيقنى من العذاب ألوانا . وسعدت نفسى بالانضمام إلى صفوف المعذبين فى سبيل الله .

ولما أذن رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة ، هاجرت إليها ، لا فرارا من قريش ، وإنما امتثالا لأمر الرسول .

وهناك فى المدينة ، استغرقت فى عبادة الله ، وعشت زاهدا فى

كل متع الدنيا وزخارفها ونعيمها . فما أعذب حلاوة مناجاة الله وعبادته . وكان ثوبى هو مايستر جسمى ، وطعامى ، هو مايحفظ علىّ حياتى . ثوب خشن ، وطعام تقشف وزهد .

وليس معنى ذلك ، أننى اعتزلت الناس فى صومعة ، وانقطعت للعبادة ؟ لا .. فلا رهبنة فى الإسلام ، إنما كنت قريبا من رسول الله ﷺ ، أتعلم منه ، وأشارك المسلمين فى جهادهم وحياتهم . وأعمل لكسب قوتى وأهلى ، وكنت فارسا من فرسان « غزوة بدر » ومع ذلك عابد متبتل ، زاهد متصوف .

دخلت يوما المسجد ، وكنت ألبس ثوبا خشنا مُرقَّعا . فرق رسول الله ﷺ لحالى ، ودمعت عيون أصحابه . فقال لهم :

« **كيف أنتم يوم يغدو أحدكم فى حُلَّةٍ ، ويروح فى أخرى . وتوضع بين يديه قصعة ، وترفع أخرى . وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة** » ...

فقالوا : وَدِدْنا أن ذلك يكون يارسول الله ، فنصيب الرخاء والعيش . فقال الرسول : « **إن ذلك لكائن . وأنتم اليوم خير منكم يومئذ** »

وهذا ما جعلنى أتحدث إليكم عن سيرتى ، لأننى أراكم اليوم جعلتم كل همكم الدنيا ومتاعها الزائل . وركنتم إلى أعدائكم ، أعداء الله ، لحمايتكم . ولم تركنوا إلى الله . وهذا هو سبب ما أنتم فيه من هوان على أعدائكم ، وعلى أنفسكم .

فهل عرفت الآن من أنا ؟

أنا ... « عثمان بن مظعون »

كنت شاعراً ، ومسلما زاهدا ، عابدا . لم أصب من الدنيا ، ولا أصابت منى ... وأنا أول من مات من المهاجرين فى المدينة المنورة . وكانت وفاتى فى السنة الثانية من الهجرة ، متأثرا بجروح التعذيب الذى أصابنى من كفار مكة .

« أنا صانع السلاح ، ومعلّم القرآن »

(٩)

أنا الذى كنت أقرأ القرآن لفاطمة بنت الخطاب وزوجها « **سعيد بن زيد** » فى بيتهما . عندما طرق الباب أخوها عمر بن الخطاب . ودخل عليهما متقلدا سيفه ، يريد أن يعاقبهما ، لأنه سمع بإسلامهما ، ودخلا فى الدين الذى يدعو إليه محمد .

عندها ، أسرعت بالاختفاء . ودارت مناقشة حادة ، بين عمر وأخته وزوجها . وفوجئت بعمر يهدأ حين سمع القرآن ، ثم جلس وقال : دلّونى على محمد . فخرجت من مخبئى ، وقلت له : والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة النبى ﷺ ، يوم دعا : « **اللهم أيّد الإسلام بأحب الرجلين إليك . أبى الحكم بن هشام ، وعمر بن الخطاب** » .

وأخبرت « **عمر** » بمكان رسول الله ﷺ . فذهب إليه ، وأسلم لله رب العالمين .

أنا أشهر صانع للسيوف فى مكة . وشاء الله أن يتحول حديدها بعد إسلامى ، إلى مكاو توضع فى النار ، ويكوى بها جسدى .

رغم فقرى ، وضعفى ، تحديت كفار قريش ، بجبروتهم وطغيانهم . فلم يستطيعوا أن ينالوا منى ، ولا أن يفتنونى فى دينى وإسلامى .

أنا من الذين نزلت فيهم آيات من القرآن الكريم ، تدافع عنهم ، وتوصى رسول الله بنا .

أنا ... هل تريدون أن تعرفوا من أنا؟

أنا من أسرة فقيرة ضعيفة . كانت تعيش بعيدا عن مكة . وتمضى حياتها لاهى فى العير ، ولا فى النفير . وذات يوم ، وأنا طفل

صغير . سطا علينا قوم أشرار . فقتلوا أبى ، وأخذونى وأمّى وأختى أسرى . .

باعوا أمّى وأختى فى مكان بعيد لا أعرفه . وأخذونى إلى مكة . وهناك ، عرضونى للبيع فى سوق العبيد .

كنت حزينا على قتل أبى . حزينا على فراق أمّى وأختى . خائفا من المجهول الذى أسير إليه .

رأتنى امرأة تسمى **«أم أنمار»** فرق قلبها ، حين رأتنى طفلا يبدو على وجهه الحزن والبؤس والاجهاد . فاشترتنى عبدا لها .

وهكذا عشت فى مكة . لاتفارقنى صورة أبى وهو يقتل . ولا صورة أمّى وهى تصرخ ، وعلامات الرعب والفزع التى ارتسمت على وجه أختى ونظراتها . يوم هاجمتنا هذه المجموعة من الأشرار .

وتأملت حياة الناس من حولى . قَوِىٌّ يفتك بالضعيف ، وسادة تستبد بالعبيد ، وتسلبهم أبسط حقوق الحياة . وفساد فى كل مكان ... قوم يتفاخرون بالظلم ، ويتباهون بالطغيان .

والشىء الغريب ، الذى أثار تفكيرى ، وأقلقنى . هو أن هؤلاء الجبارة والسادة ، أراهم يخرون على وجوههم ساجدين ، لأصنام صنعوها بأيديهم ، وجعلوها آلهة يعبدونها . كأن رءوسهم خلت من العقول ، فلم يعد لهم قدرة على التفكير ولا التمييز . إنهم مجرد صنم يهيم فى صنم .

ومضت حياتى ، تعلّمت صناعة السيوف ، حتى أتقنت هذه الحرفة ، وصرت من أشهر صنّاعها فى مكة . وكانت تدرّ على ربحًا

كثيرا . فكنت أُغدق على هذه المرأة ، **«أم أنمار»** التى عطفت علىّ صغيرا ، ومنحتنى حريتى كبيرا .

وذات يوم ، وعمرى قد تجاوز العشرين . سمعت أن محمدا بن عبدالله ، يدعو إلى دين جديد . يُحرِّمُ الظلم والفساد ، ويساوى بين الناس فى الحقوق والواجبات لا سادة ولا عبيد ، الكل أمام الله سواء ، لا تفاضل بالمال أو الحسب والجاه . إنما بالأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة . وأن العبادة لله وحده ، لا لصنم أو سيّد .

أدركت على الفور ، صدق ما يدعو إليه محمد ، وقيمة مبادئه فى سعادة الناس . لاسيما وأنا عانيت من الظلم والقهر ، وذقت مرارة البطش والتسلّط . فأسرعت إلى لقائه . وشهدت أن لا إلّه إلا الله ، وأنه رسول من عند الله .

ومن يومها ، بدأ معى كفار قريش ، أبشع قصة تعذيب شهدتها البشرية . وتلك كانت عادتها مع كل من يدخل فى الإسلام . خاصة إذا كان من العبيد والضعفاء أمثالى .

كانوا يرون أنه ليس من حقنا أن نعيش إلا عبيدا لهم ، ولا نعبد إلا آلهتهم ، ولسنا أحرارا حتى فى تفكيرنا أو أجسامنا . نحن فقط كأصنامهم ، لا تسمع ولا ترى ، ولا تفكر ، ولا تحس .

انتزعونى من دارى ، وأخذوا كل ما فيها من حديد وسيوف ، وصنعوا منه مكاوٍ ، تحمى فى النار ، ويكوى بها جسدى .

مارسوا معى كل ألوان التعذيب ، التى لا تتخيلون بشاعتها . واستعانوا « بأم أنمار » فكانت تأخذ الحديد المحمى الملتهب ، وتكوى به رأسى . كل هذا لأكفر بالدين الذى جاء به محمد ﷺ ، وأعود إلى كفرهم وضلالهم .

سألنى عمر بن الخطاب يوما عما لقيت من المشركين . فقلت له : يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهرى . فنظر ، ثم قال : مارأيت كاليوم ظهر رجل . فقلت له : لقد أوقدوا نارا ، وسحبونى عليها ، فما أطفأها إلا لحم ظهرى .

واسمعوا « **الشعبى** » يحكى عن تعذيبى ، وموقفى منهم : « إن (...) وذكر اسمى . صبر ، ولم يُعط الكفار ماسألوا . فجعلوا يلزقون ظهره بالحجارة المحماه ، حتى ذهب لحم ظهره » .

ورآنى يوما رسول الله ﷺ ، والحديد المحمى فوق رأسى يشويها . فرفع وجهه إلى السماء ، ودعا لى قائلا : «**اللهم انصر** ...» وذكر اسمى .

أتعرفون ماذا حدث بعدها ؟ لقد مرضت « أم أنمار » وأصابها الصَّرع . فكانت تَعْوِى كالكلاب . ولم يجدوا لها علاجا إلا الكىّ بالنار على رأسها . تماما كما كانت تفعل بى .

لا تظنوا أننى أتفاخر أمامكم بما نالنى من تعذيب ، وصبرى عليه ، إنما لأقول لكم : إن الإنسان إذا عرف الحق ، واهتدى إليه . فعليه أن يلتزم به ، ويقف إلى جواره ، ولايحيد عنه ، مهما ناله من مشقة وجهد وتعب وتضحية . فالله حين هدانا للإسلام ، يريد أن يبتلينا ، ليعلم الصادقين منا ، ويعلم الكاذبين . يقول سبحانه ﴿ **أحسب الناس أن يتركوا ، أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم . فليعلمنّ الله الذين صدقوا ، وليعلمنّ الكاذبين** ﴾ صدق الله العظيم .

ولا أقول لكم ، أننا كنا نعرض أنفسنا للتعذيب ، أو نسعى إليه . لنكتسب بطولة ، أو ثناء ؟! لا ... كنا نريد ألا يحدث ذلك

من كفار قريش حتى نتفرغ لنشر الدين ، وتعلّمه ، وعبادة الله وحده . لكنهم أبوا علينا ذلك .

ذات يوم ، ذهبت مع بعض أصحابى ، ممن يعذبون مثلى ، إلى رسول الله ﷺ ، نشكو له ما نلاقى من تعذيب . فوجدناه متوسّدا ببردة فى ظل الكعبة الشريفة . فقلنا : يا رسول الله ، ألا تستنصر لنا ؟ . أتعلمون ماذا قال رسول الله ؟

جلس وقد احمرّ وجهه الشريف وقال : « **قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل ، فيحفر له فى الأرض . ثم يُجاء بالمنشار فيُجْعل فوق رأسه ، ما يصرفه عن دينه . ويمشط بأمشاط الحديد ، ما دون لحمه من عظم وعصب ، ما يصرفه عن دينه . وليتمنّ الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخشى إلا الله عزّ وجلّ ، والذئب على غنمه . ولكنكم تعجلون** » .

كنا نشكو إلى رسول الله ، لنحتفظ بأجسامنا وصحتنا ، حتى تكون قادرة على الإكثار من العبادة ، والجهاد فى سبيل الله . كنا نتعجل اليوم الذى يصبح المسلمون فيه قوة ، ترهب أعداء الله ، والإسلام عزيزا ، يقتحم معاقل الظلم والفساد والشرك ، وترفرف رايته خفاقة فى كل مكان ، يستظل بها الناس كافة فى ظلال المحبة والعدل والأمن والسلام .

ولعلكم الآن تريدون أن تعرفوا ، كيف دافع القرآن عنا ، ووصىّ رسوله ﷺ بنا ؟ نعم .. سأحكى لكم .

كان رسول الله ، لا يفرِّق بين غنىّ وفقير ، ولا بين عبد وسيّد ، بل كنا جميعا نجلس معه ، ونستمع إليه ، ونتعلم منه أمور الدين ، ونخلص لله فى عبادتنا .

فطلب منه بعض كبار قريش وسادتها ، أن يجعل لهم يوما يجلسون فيه معه ، ويجعل لنا – نحن الفقراء والضعاف ، أنا وبلال ، وصهيب وأمثالنا – يوما آخر غير يومهم . يريدون بذلك ألا تتساوى رءوسنا برءوسهم ، ولايصح أن نجلس فى مجلسهم . وقبل أن يرفض رسول الله ﷺ طلبهم . ينزل القرآن الكريم ، يدافع عنا ، ويوصى رسول الله بنا . يقول سبحانه وتعالى :

﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشى ، يريدون وجهه ، ماعليك من حسابهم من شىء ، وما من حسابك عليهم من شىء ، فتطردهم فتكون من الظالمين ... ﴾ الآيات .

أتعلمون ماذا حدث بعد ذلك ؟

كان رسول الله ﷺ ، إذا رأى أحدا منا ، بالغ فى إكرامه ، ويقول له : « أهلا بمنّ أوصانى بهم ربّى »

لقد تحولت حياتى فى الإسلام ، من صانع السيوف ، إلى معلّم القرآن . فكنت فى أيام الإسلام الأولى ، أذهب إلى بيوت بعض المسلمين الذي يُخفون إسلامهم ، أعلّمهم القرآن ، وأقرأه لهم . وقد حدثتكم عن فاطمة أخت عمر بن الخطاب .

وهناك فى المدينة المنورة ، عشت بعد الهجرة ، ملازما لرسول الله ﷺ ، وأشاركه فى كل غزواته وحروبه . وأعلّم القرآن . حتى إن عبدالله بن مسعود ، كان يعتبرنى مرجعا فيما يتصل بالقرآن وحفظه ودراسته .

وبعد وفاة الرسول ، بقيت على العهد ، مجاهدا فى سبيل الله . فشاركت فى حروب الردة ، وفتوحات الإسلام ، فى عهد الخلفاء الراشدين .

وانتهى بى المطاف فى الكوفة . فبنيت لى دارا ، من راتبى الذى كنت أتقاضاه ، وكان يزيد عن حاجتى .

ولعلكم تتساءلون : ماذا كنت أفعل فى هذا المال الذى يفيض عن حاجتى ؟ نعم من حقكم هذا . ومن حقى أن أقول لكم الحقيقة .. كنت أضع مالى فى مكان بالدار . وكان هذا المكان يعرفه كل أصحابى . وأذنت لكل من له حاجة ، أن يأخذ من المال حاجته دون سؤالى . فوالله ما خبأته ، ولا منعته عن سائل ، أو محتاج . فقط كنت أحتفظ به ، لأساعد محتاجا ، أو أطعم فقيرا ، أو أقضى به حاجة محتاج ، أو عابر سبيل . إن ديننا الحنيف ، يدعونا إلى أن نستثمر أموالنا فى فعل الخيرات ، ولا نبدّد ما يزيد على حاجتنا ، فى المظاهر ، ولا نحرم منه محتاج .

ولما حضرتنى الوفاة ، نظرت إلى كفنى ، فوجدته إسرافا . وقلت لمن حولى : انظروا .. هذا كفنى . ويوم استشهد « حمزة » عم الرسول ، لم يجدوا له كفنا إلا بردة . كانوا إذا جعلوها على رأسه ، تعرّت قدماه . وإذا جعلوها على قدميه ، تَعَرّت رأسه .

وهناك بظاهر الكوفة ، كان قبرى

فهل عرفت الآن من أنا ؟

أنا ... خَبّابُ بنْ الأَرَتّ

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، حين رأى قبرا بظاهر الكوفة ، وهو عائد من معركة «صفين» قبر مَنْ هذا ؟ فقالوا له : هذا قبر «خبّاب» فقال : رحم الله خبَّابًا . لقد أسلم راغبا . وهاجر طائعا . وعاش مجاهدا .

وصدق الله العظيم ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ...** ﴾ .

« أنا أصغر قائد لجيش المسلمين »

(١٠)

أنا الذى قاد جيش المسلمين إلى الشام ، وعمرى يومها حوالى ثمانية عشر عاما . وكان عمر بن الخطاب ، وكبار المسلمين فى هذا الجيش .

أذكر يوم خرج الخليفة أبوبكر الصديق ، ماشيا على رجليه ، يودع الجيش . وأنا راكب . فقلت له : يا خليفة رسول الله . إما أن تركب ، أو أنزل فقال لى : والله لا نزلت ، ولا أركب . وما علىّ إلا أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله . فإن للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له . وسبعمائة درجة ترفع له . وسبعمائة سيئة تمحى عنه .

أنا حِبُّ رسول الله ، وابن حِبِّ رسول الله ﷺ . تقول عائشة أم المؤمنين : سمعت رسول الله يقول : « **من كان يحب الله ورسوله فليحبب ..؟..** » **وذكر اسمى** .

نشأت منذ صغرى، على مكارم الأخلاق . محبا للفروسية ، لا أعرف اللهو ولا المجانة . وصرت فى شبابى مجاهدا شجاعا ، وفقيها مُفتيا ، وصوَّاما قواما .

عندما تولّى عمر بن الخطاب الخلافة ، كان راتبى أكبر من راتب ابنه عبدالله . ولما احتج عبدالله على ذلك . قال له عمر «إنه كان أَحَبَّ إلى رسول الله منك . وأبوه كان أحب إلى رسول الله من أبيك »

فهل تريدون أن تعرفوا من أكون أنا ؟

أنا أبى كان من أحرار العرب ، لكنه تعرض لحادثة ، غيرت مجرى حياته سأحكيها لكم .

ذات يوم ، خرجت جدَّتى لزيارة أهلها ، وأخذت ابنها معها ، وكان طفلا صغيرا ، أخذت أبى ليراه أهلها . وفى الطريق ، هاجمتهم قبيلة ، واختطفت أبى ، ذلك الطفل الصغير . وهناك فى سوق عكاظ باعوه عبدا ، فاشترته السيدة خديجة بنت خويلد . وتلك كانت عادة العرب فى الجاهلية ، سطو ونهب وسلب .

ولما تزوجت من رسول الله ﷺ ، أحب هذا الغلام الصغير ، الذى تبدو عليه ، مظاهر الذكاء والفطنة ، والإخلاص . فوهبته السيدة خديجة لزوجها رسول الله ، فأعتقه . وأكرمه ، وصار أبى خادما له ، وسنُّه يومها ثمانى سنوات .

عاش فى هذا البيت الكريم ، الذى حظى فيه بكل رعاية ، وعناية وحب ، وحسن عشرة ومعاملة .

كانت أم أبى حزينة على فراقه ، تصبح وتمسى لاتكف عن البكاء ، وكان والد أبى وأهله ، يبحثون عنه فى كل مكان ، أملا فى لقائه ، والعثور عليه .

وجاء موسم الحج ، والتقى أبى بقوم يعرفهم ، ويعرفونه ، ولما عادوا أخبروا أهله ، بأن ابنهم فى مكة ، وفى خدمة بيت كريم .

ولما جاءوا إلى مكة . والتقوا برسول الله ، وعرضوا عليه أن يفتدوا ابنهم ، ويأخذوه . قال لهم رسول الله ﷺ ، نعرض عليه الأمر ، وله أن يختار . إما أن يذهب معكم ، أو يبقى معى . ولن آخذ منكم فداء إذا اختاركم .

وجاءوا بأبى . فقال له الرسول : هل تعرف هؤلاء ؟ قال : نعم هذا أبى ، وهذا عمىّ . فقال له الرسول : فأنا من قد علمت ورأيت صحبتى لك . فاخترنى أو اخترهما . فقال أبى : ما أنا بالذى

أختار عليك أحدا ، أنت منّى بمكان الأب والعم .

فأخذه رسول الله ﷺ ، وخرج يعلن على الناس : اشهدوا أن ..؟ .. (وذكر اسم أبى) ابنى ، أرثه ويرثنى . ففرح أبوه وعمه ، واطمئنا عليه . وعادا إلى ديارهما .

ومن يومها أصبح أبى ينسب إلى رسول الله ، ويسمونه « ... ابن محمد» إلى أن أبطل الإسلام عادة التبنى ، ونزل قول الله تعالى ﴿ **ادعوهم لآبائهم ، هو أقسط عند الله** ﴾ فأصبح اسمه « **... بن حارثة** » .

ولما بعث الله محمدا ﷺ ، رسولا إلى الناس ، كان أبى رابع من أسلموا ، ولم يسبقه فى الإسلام إلاالسيدة خديجة ، وأبوبكر ، وعلى بن أبى طالب .

وذات يوم ، ورسول الله جالس مع أصحابه ، ذكر السيدة . أم أيمن بخير ، ورغّب فى الزواج منها . رضوان الله عليها . فتزوجها أبى ، وأنجبا غلاما ، هو أنا . فهل تعرفون من هى أمّى هذه ؟

إنها حاضنة رسول الله ﷺ ، وكانت عنده بمنزلة أمّه . جاهدت مع رسول الله ، فى غزوة **«أحد»** ، وغزوة **«حنين»** وكانت تسقى الماء ، وتداوى الجرحى . وأبى هو من حدثتكم عنه ، منذ قليل .

مع هذين الأبوين الكريمين نشأت ، بجوار رسول الله ﷺ . ونلت من رعايته وتربيته ، ما لم ينله أحد غيرى ، ونما عودى على تعاليم الإسلام ، ومبادئه ، وكنت عند رسول الله محبوبا .

ذات يوم ، سرقت امرأة من شريفات قريش ، وثبت عليها

إقامة الحد . وهو أن تقطع يدها . فاجتمع أهلها ، يبحثون عن أحد ، يشفع لها عند رسول الله ، حتى لايقيم عليها الحد . فلم يجدوا غيرى .

جاءنى أهلها وقالوا لى : أنت حِبُّ رسول الله ، وابن حِبِّه . فاشفع لنا عنده . وحين بلّغت شفاعتى لرسول الله ، غضب وقال : **« إن بنى إسرائيل كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه !! لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها »**

هذا هو الإسلام ، لا شفاعة ولا وساطة فى الحقوق والواجبات ، الناس كلهم سواء أمام شرع الله . ولعلكم تقولون لى : لماذا قبلت الشفاعة ؟ فأقول لكم : كنت صغيرا ، لا أدرك كل حقائق الإسلام يومها ، ورسول الله بيننا . هو معلّمنا ومرجعنا .

وهناك .. فى المدينة المنورة بعد الهجرة . كان رسول الله يتجهز لغزوة «**بدر**» وفرحت لأننى سأجاهد معهم فى سبيل الله ، وأنتقم من كفار مكة ، الذين آذوا رسول الله ، وعذبوا أصحابه .

لكن حدث أن مرضت السيدة رقية بنت رسول الله ، وزوجة عثمان بن عفان . فطلب منى أن أبقى مع «**عثمان**» لتمريض السيدة «**رقية**» ولما عاد المسلمون منتصرين من هذه الغزوة . ماتت السيدة رقية رضى الله عنها .

ولما جاءت غزوة « **أحد** » عاد الأمل فى الجهاد إلى نفسى مرة أخرى وطلبت من رسول الله ﷺ ، أن أشارك فيها ، لكنه ردنى لصغر سنى . وأمام إلحاحى ، سمح لى الرسول بالاشتراك فى غزوة « **الخندق** » وكان عمرى يومها أقل من خمسة عشر عاما . كما شاركت فى فتح مكة وفى غزوة « **حنين** »

وأظهرت كفاءة عسكرية ، وشجاعة . فى كل العمليات العسكرية التى شاركت فيها ، حتى وثق رسول الله ﷺ من كفاءتى ، وقدرتى .

وشاء الله أن تكون حياتى مع أبى قصيرة . ففى السنة الثامنة للهجرة جهز رسول الله جيشا لمحاربة « **الغساسنة** » الذين قتلوا الرسول الذى أرسله إليهم . وكان عدده ثلاثة آلاف مقاتل . وجعل قيادة الجيش لأبى . فإن أصيب أو استشهد ، فيتولى القيادة « **جعفر ابن أبى طالب** » . فإن أصيب أو استشهد ، فالقيادة « **لعبدالله بن رواحة** » .

وما إن وصل الجيش إلى قرب «**مؤتة**» قريبا من الأردن ، وعسكر هناك . حتى فوجئوا بجيش العدو ، يتكون من مائة ألف . بعضهم من الغساسنة وبعضهم من حلفائهم من الروم ، ومن العرب المحيطين بهم .

واجتمع قادة المسلمين يتشاورون . أيرسلون لرسول الله يستمدون منه المشورة والرأى ، فى هذا الموقف غير المتكافىء ؟ أو يرسل إليهم مددا من الرجال والسلاح .

وهنا ، قال عبدالله بن رواحة : والله إن التى خرجتم لطلبها هى الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ، ولا قوة ، ولا كثرة . فانطلقوا بنا إلى إحدى الحسنيين ، النصر أو الشهادة

والتقى الجيشان ، وقاتل المسلمون ببسالة وشجاعة . حتى استشهد أبى ... واستشهد « **جعفر** » واستشهد « **ابن رواحة** » فتولى القيادة « **خالد بن الوليد** »

وراى « خالد » بخبرته العسكرية ، أن استمرار هذه المعركة

غير المتكافئة إطلاقا ، سيؤدى إلى فناء جيش المسلمين . وأن من الحماقة أن يظل يحارب هذه الأعداد الضخمة . والخير فى الانسحاب .

وضع القائد خالد خطة للانسحاب ، تضمن له سلامة الجيش ، وتوهم الأعداء بأن مددا جاءهم . ونجحت الخطة .

أتعلمون ماذا حدث بعد ذلك ؟ ولّانى رسول الله ﷺ فى آخر أيامه ، قيادة الجيش الذى أعدَّه لقتال الروم ، والانتقام منهم ومن الغساسنة لقتلى المعركة التى استشهد فيها أبى .

لم تنل قيادتى للجيش رضا بعض الصحابة ، لصغر سنّى ، وحداثة عهدى بفنون الحرب . ولما علم ذلك رسول الله ، غضب وقال : لقد بلغنى أن أقواما يقولون فى إمارة « ..؟ .. » ولعمرى لئن قالوا فى إمارته ، لقد قالوا فى إمارة أبيه من قبله . وإن كان أبوه لخليقا للأمارة ، وأنه لخليق لها .

ومات رسول الله ﷺ ، والجيش لم يبرح المدينة المنورة . واشتد الخطب على المسلمين ، ورأى بعضهم أن يبقى الجيش فى المدينة ، لمواجهة الذين تمردوا على الإسلام بوفاة الرسول ، وارتدوا عن الدين .

لكن الخليفة أبابكر الصديق رفض ذلك قائلا : والله لا أحلّ عقدة عقدها رسول الله ﷺ . ولو أن الطير تخطّفنا ، والسباع من حول المدينة ، لأجهزن جيش أسامة . وكان ضمن رجال الجيش عمر ابن الخطاب .

وخرجت على رأس الجيش فى حملة تأديبية للروم ، وخضت ما تسموه الآن بالحرب الخاطفة ، ثم عاد الجيش منتصرا إلى المدينة

المنورة . وكان فى استقباله خليفة رسول الله « **أبوبكر** » والمسلمون ، الذين فرحوا بنصر الله ، ودبّ فى نفوسهم الأمل ، بعد أن أحزنتهم حروب الردة .

لم يطل بى الانتظار طويلا فى المدينة بعد عودتى . وإنما حملت سلاحى أشارك فى حروب الردة ، حتى قضينا على الفتنة ، وبقيت للإسلام هيبته وجلاله .

وهكذا عشت بعد رسول الله ، جنديا من جنود المسلمين وكان الخليفة عمر بن الخطاب ، إذا قابلنى قال لى : السلام عليك أيها الأمير . مات رسول الله وأنت علينا أمير .

وكنت محل ثقة الخليفة عثمان بن عفان ، ومن المقربين إليه . وكان حزنى شديدا يوم قتل « **عثمان** » .

فهل عرفتم من أنا ؟

أنا ... أسامة بن زيد .

كنت كثير العبادة ، صوّاما قواما ، صدوقا ، يجهر بالحق ، ولا يخاف فى الله لومة لائم . كنت حريصا على صيام الإثنين والخميس ما استطعت .

كانت وفاتى فى أواخر خلافة « **معاوية بن أبى سفيان** » .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
من اهتزّ عرش الرحمن لموته	٥
الغلام المعلّم	١٥
الباحث عن الحقيقة	٢٥
من اشترى نفسه بماله	٣٣
من تحدى الباطل وجهر بالحق	٤٣
من أحبه الله وأمر رسوله بحبه	٥١
رجل من أهل الجنة	٦٣
راهب الليل ، وفارس النهار	٧٣
صانع السلاح ومعلم القرآن	٨٣
أصغر قائد فى الإسلام	٩٣

رقم الايداع ٤٠٣٣/٨٧

فى هـذا الكتاب

يتحدث عشرة من كتائب النور ، التى احتضنت الإسلام وليدا ، وتحدّت به عُبَّاد الصَّنم ، وجبابرة الشّرك . وأدّتْ أدوارا خالدة فى حفظه ، والدفاع عنه . صِدقا ، وفِقها ، وحَربا ، وسلوكا .

عشرة من عظماء الإسلام ، عاصروا بداية الرسالة والرسول ، وعاشوا فرسانا فى النهار ، ورهبانا فى الليل .

لقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فى حُبّ وعِشق ، فكانت حياتهم كلها فداء وتضحية ، علم وعمل ، زهد وورع ، بطولة وعطاء .

عشرة من خريجى المدرسة المحمدية ، يتحدثون عن أنفسهم ، ويعرضون لنا بعض جوانب العظمة فى حياتهم الخالدة .

يضعونها أمام أجيالنا الصاعدة ، لتكون لهم قدوة يهتدون بها ، ويعرفوا منها كيف يكون الصدق مع النفس ، والتمسك بتعاليم الدين الحنيف ، وكيف تكون البطولة فى سبيل العقيدة .

عشرة تليها عشرة إن شاء الله ، نقدمها لأجيالنا الصاعدة ، حتى لا تفقد القدوة الصالحة ، وتبحث عنها خارج دائرة العقيدة السمحاء ، فيتوه منها الطريق ، وتفقد الهوية ، فتهوى فى واد سحيق .

المؤلف